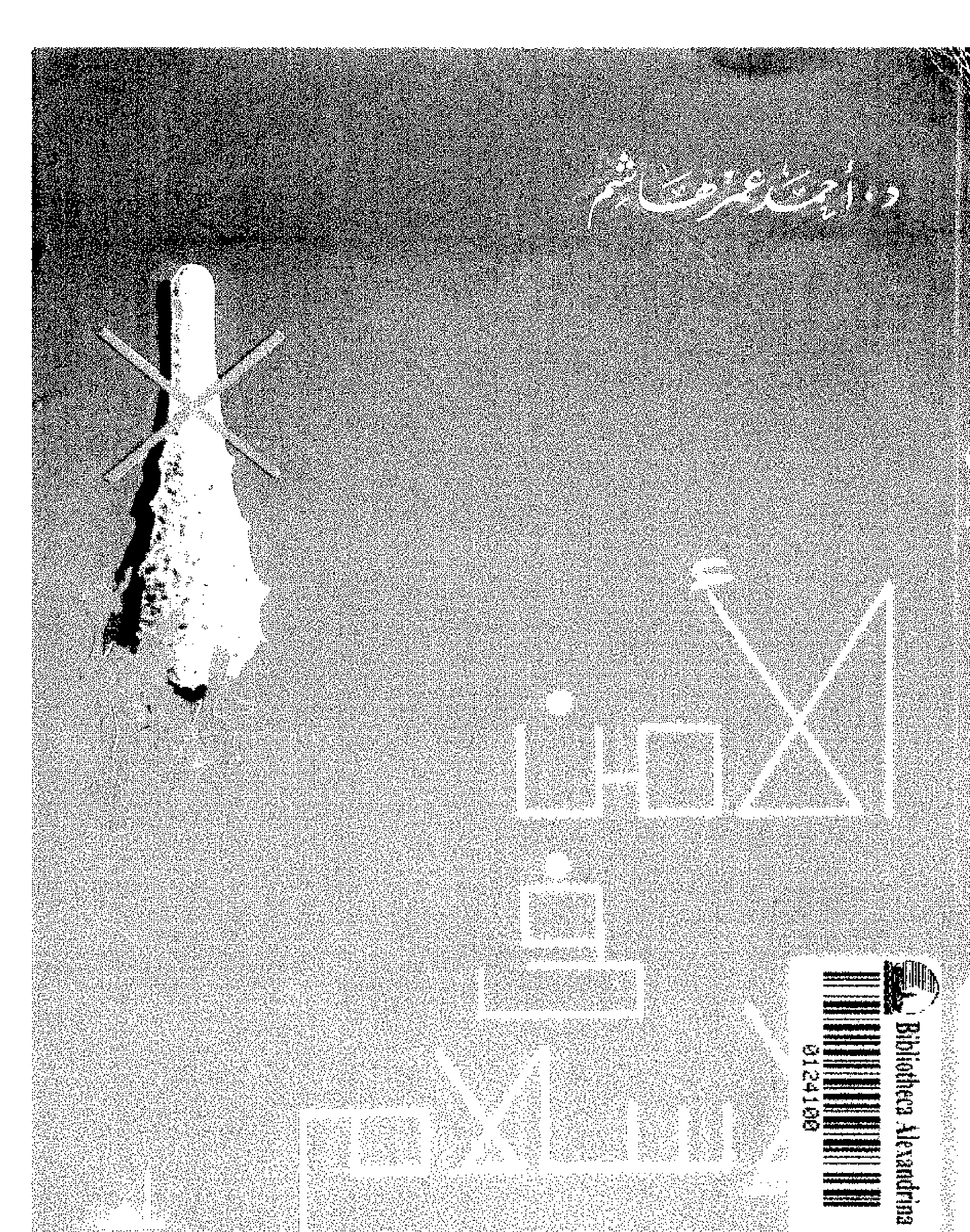
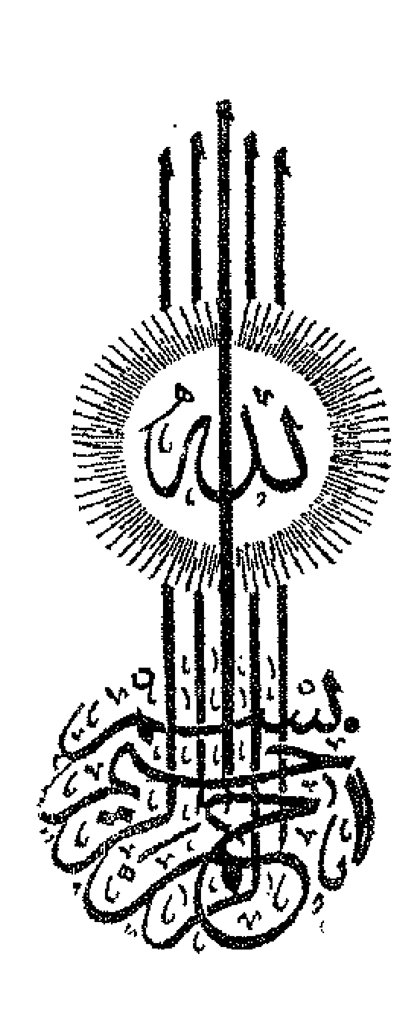

د. أحمد عمر هاشم


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

دار المنار للطبع والنشر والتوزيع
٢ ش الباب البحرى بالازبكية
ت ٩١٠٢٢٠ ص.ب ٦١ هليوبولس



تأليف

الدكتور / أحمد عمر هاشم

دار المنار

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد

فإن للإسلام منهجه فى إقرار الأمن ، وقد قام هذا المنهج على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن ، وأرسى الإسلام للأمن قاعدتين أساسيتين هما : الإيمان ، والعمل الصالح :

قال تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » .

ومن أجل اقرار الأمن دعا الإسلام إلى تعميق العقيدة الصحيحة وعدم الظلم قال تعالى : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » .

وكما دعا الإسلام إلى الأمن الداخلى ، والأمن الخارجى ، وإلى أمن حقوق الإنسان ، من أجل أن يحيا الفرد وتحيا الجماعة والكل آمن على نفسه وعلى ماله وعلى عرضه « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه »

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل ؟

الدكتور / أحمد عمر هاشم

مكانة مصر فى الإسلام

لمصر مكانتها عند الله ورسله ، فهى كنانة الله فى أرضه ، وقد بوأ الله تعالى منزلة هامة ، وقيضها لتضطلع برسالة شاقة فى حماية الدين والذود عن حياض الأمة ، وجعلها وأهلها فى رباط إلى يوم القيامة .

ولأهميتها حظيت بذكر القرآن الكريم لها : « ادخلوا مصر إن شاء الله منين » يوسف (٩٩) .

وقال سبحانه : « وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة » يونس (٨٧) .

وفى مصر مشاهد تاريخية ، تفيض ذكريات غالية ، وقيما سامية . وفضائل عظيمة ، فى جبلها المقدس ونيلها المبارك ، والطور الذى كلم الله تعالى نبيه موسى عليه السلام عليه ، وبها الوادى المقدس ، وبها فلق الله البحر لموسى ، وبها ولد موسى وعيسى وهارون واقهان ، وكان بمصر الخليل إبراهيم وإسماعيل ويعقوب ويوسف عليهم صلوات الله وسلامه .

وحب مصر وأهلها فضلا ومنزلة وصية رسول الله ﷺ التى جاءت بها السنة الصحيحة ، حيث وصى عليه الصلاة والسلام بمصر وأهلها لما لهم من الذمة والرحم :

أخرج الإمام مسلم فى صحيحه قال : حدثنى أبو الطاهر أخبر ابن وهب أخبرنى حرملة – ح – وحدثنى هارون بن سعيد الأيلى حدثنا ابن وهب حدثنى حرملة – وهو ابن عمران التجيبى عن عبد الرحمن بن شماسة المهدى قال : سمعت أبا ذر يقول : قال رسول الله ﷺ :

« إنكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحما » .

وفى رواية أخرى عند مسلم : « إنكم ستفتحون مصر » . والمراد بالقيراط المذكور فى الحديث جزءاً من أجزاء الدينار والدرهم وغيرهما ،

وكان أهل مصر يكثرون من استعماله والتكلم به . وأما الذمة ، فهى الحرمة والحق وهى هنا بمعنى الذمام وأما الرحم فلكون هاجر أم إسماعيل منهم ، وأما الصهر : فلكون مارية أم إبراهيم منهم . وفى الرواية الثانية :

« فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحما » أو قال : « ذمة وصهراً » .

ولأن حكمة الله تعالى شاءت لمصر أن تنهض بأشرف رسالة فى الوجود حفاظا على دينه ونشرا له وتبليغا ، وتعليما ، وحماية للأمة الإسلامية وتراثها وقياما بالجهاد فى سبيل ذلك كله من أجل هذا ، حث الإسلام على تكوين جند عظيم لمصر ، وهو خير أجناد أهل الأرض .

وإنما كان جند مصر خير أجناد أهل الأرض لأنه سيظل فى رباط وحراسة للحدود وللوطن الإسلامى إلى يوم القيامة ، هكذا روى عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جنداً كثيفا فذلك الجند خير أجناد الأرض » فقال أبو بكر : ولم يا رسول الله ؟ قال :

« لأنهم وأزواجهم فى رباط إلى يوم القيامة » . [أخرجه ابن عبد الحكم]

فمصر وجندها وأهلها فى رباط ودفاع عن الحق ، ونصرة للخير وتبليغ للإسلام ، ونشر لقيمه .

وفى كل أمة وبيئة من يشــذ عن المنهج أو يند عن الجماعة لسبب أو إشاعة بتأويل أو بغير تأويل وحكم القلة لا يسىء إلى الجماعة ، فكل جند مصر بخير وإيمان ، وقوة وإذعان ؛ ورضوخ للحق ، وإخلاص للنية ، ليقينهم بسمو أهداف أمتهم ، وإيمانهم بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبسيدنا محمد ﷺ نبيا ورسولا . ولقد وضح رسول الله صلوات الله وسلامه عليه معادن الناس ، والجند بصفة خاصة فى حديثه الصحيح ، فلا ينقص من عظمة مصر وجندها بعض الذين شذوا وانحرفوا عن الجادة .

عقوبة الماديين ومثوبة المرابطين

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال :

« تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ، إن أعطى رضى وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش ، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه ، إن كان فى الحراسة كان فى الحراسة وإن كان فى الساقة كان فى الساقة وإن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع » . [رواه البخارى ومسلم وابن ماجة]

وفى هذا الحديث تحذير من التكالب على الدنيا والمال ، ودعوة إلى علو الهمة وسمو الغاية ، وذم لطلاب المال والدنيا فحسب ، الذين صاروا عبيداً للمال ، وكل همهم عرض الحياة ، وليس الشرف والآباء ، ولا الخلق والدين فهؤلاء تعسوا وشقوا ، وأما الذين يرابطون فى سبيل الله ويأخذون بعنان جيادهم مطيعين الله ورسوله وأولى الأمر وإن لم يجيبوا لهم مطلبا ولم تقبل لهم شفاعة فطوبى لهؤلاء المخلصين . وسحقا للطاغين .

إن الحديث يدعو على أولئك الذين عبدوا المال والشهرة (تعس) أى شقى عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة أى القطيفة (تعس وانتكس) أى عاوده المرض ، أو إذا سقط اشتغل بسقطته حتى يسقط مرة أخرى (وإذا شيك فلا انتقش) أى إذا أصابته الشوكة لا يجد من يخرجها منه بالمنقاش ، وفى الدعاء عليه بذلك إشارة إلى عكس مقصودة لأن من عثر فدخلت فى رجله الشوكة فلم يجد من يخرجها يصير عاجزا عن الحركة والسعى فى تحصيل الدنيا .

ثم يشير الحديث بعد ذلك إلى الحض على العمل بما يحصل به خير الدنيا والآخرة (طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه . . .) الخ الحديث ، إنه الجندى المجهول المرابط فى سبيل الله (إن كان فى الحراسة كان فى الحراسة) أى إن كان المهم أن يكون فى الحراسة كان فيها ، أو هو بذلك فى ثواب عظيم .

(وإن كان فى الساقة كان فى الساقة) إنه يترك حب الرياسة والشهرة ومتواضع مخلص لله فهو جندى مجهول يعمل دون أن يعلن عن عمله ويجهله كثير من الناس ، ولكن يعلمه رب الناس ويجزيه خير الجزاء .

والمراد بقول الرسول ﷺ لهذا النوع الثانى من الجنود (طوبى لعبد . . . الخ) الدعاء له بالجنة لأن طوبى أشهر شجرها وأطيبه فدعا له أن ينالها ، لأن آخذ بعنان فرسه ، لا يعلن عن نفسه ، ولا يتكالب على الدنيا ولا يعنيه إن كان فى الساقة أو إن كان فى الحراسة .

والحراسة : مقدمة الجيش التى تحرسه من هجوم العدو .

والساقة : مؤخره الجيش ، إنه يؤدى واجبه فى أى موقع كان .

وللحراسة فى سبيل الله فضل عظيم ، ومكان كريم ، ففى حديث عثمان مرفوعا .

« حرس ليلة فى سبيل الله خير من ألف يقام ليلها ويصام نهارها » أخرجه ابن ماجة والحاكم . وإنما كان للحراسة كل هذا الجزاء الوافر لما يترتب عليها من الحفاظ على حمى الوطن واستتباب الأمن وتيسير العمل والعبادة .

وفى حديث سهل بن معاذ عن أبيه مرفوعا :

« من حرس وراء المسلمين متطوعا لم ير النار بعينه إلا تحلة القسم » أخرجه أحمد .

وحديث أبى ريحانة مرفوعا : « حرمت النار على عين سهرت فى سبيل الله » أخرجه النسائى ونحوه للترمذى عن ابن عباس وللطبرانى من حديث معاوية بن حيدة ..

وقد أمر الله تعالى بالرباط فى سبيله حين قال سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقـــوا الله لعلكم تفلحون » آل عمران (٢٠٠) . بل إن حارس الوطن والمرابط على حدوده تعتبر الليلة

الواحدة له خيراً من ليلة القدر فى الجزاء ، ولقول الرسول ﷺ فيما رواه عبد الله بن عمر : « ألا أنبئكم بليلة أفضل من ليلة القدر حارس حرس فى أرض خوف لعله ألا يرجع إلى أهله » رواه الحاكم » .

ويستنبط من الحديث :

* — فضل الحراسة فى سبيل الله ، وأهمية القائمين بحراسة الوطن وأن لهم عند الله جزاء عظيما .

* — والتحذير من طلاب الدنيا وعبيد المال .

* — ووجوب طاعة الله ورسوله وأولى الأمر والتحذير من المخالفة سواء كان الجندى فى المقدمة أو فى المؤخرة

* عقوبة الغادرين :

وإذا كان الله تعالى قد أعد هذا الأجر الكريم للمرابطين فى سبيل الله الذين كانوا أوفياء لعقيدتهم ، أمناء على أوطانهم ، فإنه سبحانه قد جعل فى الآخرة عقوبة للغادرين ، ولواء يشتهرون به ويفتضحون على رؤوس الخلائق جزاء صنيعهم وغدرهم وخيانتهم وعدم وفائهم وفى الحديث الآتى توضيح ذلك :

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء فقيل : هذه غدرة فلان بن فلان » . [رواه مسلم]

إن للغادرين عقوبة آجلة يوم القيامة حيث تكون لهم علامة تميزهم ويشتهرون بها بين الناس ، وكانت العرب تنصب الألوية فى الأسواق الحفلة لغدرة الغادر لتشهده بذلك . والغادر : هو الذى يواعد على أمر ولا يفى به . وقد جاءت روايات لهذا الحديث تزيده وضوحا وتفصيلا ، منها ما جاء بزيادة : (يعرف به) أى بلوائه وشهرته الناس ، وفى رواية أخرى : (لكل غادر لواء عند إسته يوم القيامة) وفى رواية أخر : (لكل غادر

لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدره) ولا غادر أعظم غدرا من أمير عامة رواه مسلم . واللواء هو الراية العظيمة التى يمسكها صاحب الجيش ، ويتبعه الناس ، والمراد أنها علامة يعرف بها الغادر يوم القيامة ، ويفتضح بها ،

والغدر محرم أشد التحريم لاسيما من صاحب الولاية العامة ، أو من الجند الحارسين للوطن ، لأن غدر مثل هؤلاء يتعدى ضررهم إلى مساحة عريضة من الناس ، وقد ذكر العلماء لهذا الحديث احتمالين :

أحدهما : وهو نهى الإمام أن يغدر أو من يقوم مقامه ممن يتولى رئاسة عمل من الأعمال . فلا يغدر فى عهوده مع قومه أو مع غيرهم ، ولا يغدر فى الأمانة التى يقوم عليها ، ويحافظ على أهله ، فمن خانهم فقد غدر بعهده .

الثانى : أن يكون المراد نهى الرعية عن الغدر بالإمام فلا يشقوا عليه عصا الطاعة ، ولا يتعرضوا لما يخاف حصول فتنة بسببه وإذا كان الإمام النووى رجح الاحتمال الأول ، فإن الأمرين معاً لهما من الأهمية ما يجدر بكل مسلم استرعاه الله تعالى رعيته أو قام على أمر من الأمور ، أو وكل إليه عمل من الأعمال أن يكون حارساً أميناً على هذا العمل ، وألا يخون ولا يغدر ولا يفرط فى الحقوق ولا يمكن المستهترين والمشاغبين والعابثين ، وأن يسهر هو ومن معه على حماية الذمار ، وصيانة الحقوق والوفاء بالعهود .

وقد حذر الإسلام من الغدر والغلول والتمثيل وقتل الصبيان والولدان

عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أقر أميراً على جيش أو سرية أوصاه فى خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ، ثم قال : اغزوا باسم الله فى سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا . » رواه مسلم .

وعن أبى التياح قال : سمعت أنس بن مالك يقول : قال رسول الله ﷺ : « يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا » رواه مسلم ومعنى (وسكنوا) أى اجعلوهم فى سكينة واستقرار أمن ساكن غير قلقين .

وإذا كانت هذه هى توجيهات الإسلام ووصاياه حتى فى حالة الحرب لا السلم وحتى مع غير المسلمين ، فما بالنا بها فى حالة السلم ؟ لاشك أنها ستكون أكثر أهمية وطلبا .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيوشه قال : اخرجوا باسم الله ، تقاتلون فى سبيل الله من كفر بالله لاتغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع » رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى فى الكبير والأوسط إلا أنه قال فيه : « ولاتقتلوا وليدا ولا امرأة ولا شيخا » .

وحذر الإسلام من نقض العهد وإخفار الذمة ، والخيانة حتى لا يستشرى الفساد ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « لكل لواء يوم القيامة ، ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم ، من أخفر[1] مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل » رواه الطبرانى فى الأوسط وأبو يعلى .

ما يستنبط من الحديث :

* تحذير الإسلام من الغدر أو نقض العهد أو من الخيانة .

* للغادرين الذين لا يوفون بالعهود ولا يقومون بحق الأمانات عقوبتهم فى الآخرة والتشهير بهم يوم الحساب .

* حرص الإسلام على الأمن والاستقرار والوفاء بالعهد وأداء الأمانات وصيانة الحرمات بين المسلمين وفى سائر معاملاتهم وعلاقاتهم .

التثبت من الأخبار ومقاومة الشائعات :

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن سابق حدثنا عيسى بن دينار حدثنى أبى أنه سمع الحارث بن أبى ضرار الخزاعى رضى الله عنه يقول : قدمت على

---

(١) أى نقض عهده وذمامه .

رسول الله ﷺ فدعانى إلى الإسلام فدخلت فيه وأقررت به، ودعانى إلى الزكاة فأقررت بها، وقلت: يارسول الله أرجع إليهم فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لى جمعت زكاته وترسل إلى يارسول الله رسولا إبان(١) كذا وكذا ليأتيك بما جمعت من الزكاة. فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الإبان الذى أراد رسول الله ﷺ أن يبعث إليه احتبس عليه الرسول ولم يأته وظن الحارث أنه قد حدث شيء فيه سخطة من الله تعالى ورسوله، فدعا(٢) بسروات قومه فقال لهم: إن رسول الله ﷺ كان وقت لى وقتا يرسل إلى رسوله ليقبض ما كان عندى من الزكاة وليس من رسول الله ﷺ الخلف ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة فانطلقوا بنا نأتى رسول الله ﷺ، وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق أى خاف، فرجع حتى أتى رسول الله، فقال: يارسول الله إن الحارث قد منعنى الزكاة وأراد قتلى، فغضب رسول الله ﷺ وبعث البعث إلى الحارث رضى الله عنه، وأقبل الحارث بأصحابه، حتى إذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث فقالوا هذا الحارث، فلما غشيهم قال لهم: إلى من بعثتم؟ قالوا إليك، قال: ولم؟ قالوا: إن رسول الله ﷺ بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله، قال رضى الله عنه: لا والذى بعث محمدا ﷺ بالحق ما رأيته بتة ولا أتانى، فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال: «منعت الزكاة وأردت قتل رسولى»؟ قال: لا والذى بعثك بالحق ما رأيته ولا أتانى وما أقبلت إلا حين احتبس على رسول الله ﷺ خشيت أن يكون كانت سخطة من الله تعالى ورسوله قال: فنزلت الحجرات.

---

(١) إبان كذا: وقت كذا. (٢) سروات قومه: أشرافهم.

(يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ، واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ، فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم)(١) .

وهكذا أمر الإسلام بالتثبت من الأخبار ، قال قتـــادة : فكان رسول الله ﷺ يقول : (التثبت من الله والعجلة من الشيطان) .

ومن أجل هذا نادى الله تعالى عباده المؤمنين وأمرهم أن يبتعدوا عن سوء الظن بالناس ، لأن بعض الظن إثم قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم)(٢) .

وظن السوء يستحق مرتكبه العقوبة عليه ، قال زيد رضي الله عنه لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً وأنت تجد لها في الخير محملا . وقال عليه الصلاة والسلام : « يامعشر من آمن بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لاتغتابوا المسلمين ولاتتبعوا عوراتهم ، فإنه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته . رواه أبو يعلى . كما نهى الله تعالى عن البحث عن عورات المسلمين وعن الغيبة فلا يذكر بعضهم بعضاً بالسوء في غيبته ، ثم يمثل بشاعة جرم الغيبة وصور المغتاب من يأكل لحم أخيه المسلم وهو ميت ، فكما يكره مثل هذا فليكره المسلمون الغيبة لأن عقوبتها أشد ، ثم يأمرهم الله تعالى بالتقوى والخوف منه سبحانه وتعالى بفعل ما أمر واجتناب مانهى فهو سبحانه يقبل التوبة وكثير الغفران وعظيم الرحمة وقد نهى الرسول ﷺ عن

---

(١) الحجرات (٦ — ٨) .   (٢) الحجرات (١٢) .

التجسس فى قوله ﷺ «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا»[١].

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال لأصحابه : أتدرون أربى الربا عند الله ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : «فإن أربى الربا عند الله استحلال عرض امرىء مسلم» ثم قرأ رسول الله ﷺ : «والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً»[٢].

النهى عن التحدث بكل ما يسمع :

عن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ :

«كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع» رواه مسلم .

فى الحديث توجيه نبوى حكيم يحذر من الكذب ، ومن قالة السوء ويزجر الناس عن التحديث بكل ما يسمع الإنسان من الغير ، لأن الذى يسمعه الإنسان من الناس فهو فى العادة يسمع الصدق والكذب، فإذا حدث بكل ما سمع فقد كذب لإخباره بما لم يكن .

والكذب : هو التحدث أو الإخبار بخلاف الحقيقة ، ولا يشترط فى كونه كذبا تعمد صاحبه ، ولكن التعمد شرط فى كونه إثماً وذنباً .

وإذا كان الإخبار بكل ما يسمع الإنسان — وفيه الحق والباطل والصدق والكذب .

إذا كان ذلك يجعل صاحبه فى عداد الكذابين وينهى عنه فما بالنا بالكذب المتعمد ونقل قالة السوء ، والتشنيع على الناس ، والهجر من القول عن سفيان بن حسين قال : سألنى إياس بن معاوية فقال إنى أراك قد كلفت

(١) رواه ابن أبى حاتم .
(٢) الأحزاب (٥٨) .

يعلم القرآن فاقرأ على سورة وفسر حتى أنظر فيما علمت قال : ففعلت ، فقال لى : احفظ على ما أقول لك : إياك والشناعة فى الحديث ، فإنه قلما حملها أحد إلا ذل فى نفسه وكذب فى حديثه . رواه مسلم .

ومعنى الشناعة على الرجل ذكره بالقبيح ، فهو يحذره أن يحدث بالأحاديث المنكرة التى يشنع على صاحبها وينكر ، ويقبح حال صاحبها فيكذب أو يستراب فى روايته فتسقط منزلته ويذل فى نفسه .

وقد حذر الإسلام من الكذب والإشاعات وحذر الذين يرددونها ووجههم إلى الرجوع إلى الله ورسوله أو إلى الكتاب والسنة وإلى أولى الأمر حتى يقضى على الحقائق قال تعالى : « وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » . سورة النساء (٨٣) .

وقد أمر القرآن الكريم بالتثبت فى تلقى الأنباء فقال سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين » الحجرات (٦) .

ويلاحظ أن الله تعالى خص الفاسق ، لأنه هو الذى يظن الكذب فى خبره والكذب من سمات الفاسقين لا المؤمنين ، حتى لا يشاع الشك بين المؤمنين فى أخبارهم .

ونلاحظ أن سلفنا كانوا إذا أحسوا بكلمة تتردد ما كانوا يتركونها حتى تزداد بل كانوا يقاومون الشائعات ويخمدونها فى مهدها فى غزوة أحد ، وعندما نادى أبو سفيان : أفى القوم محمد ، أفى القوم أبو بكر ، أفى القوم عمر ولم يجبه أحـــــد ظن أنهم قتلوا ، وراح يطلق الشائعة بأنهم قتلوا ، ولو أخذها المسلمون وسكتوا عليها لكان لها خطرها وفاعليتها فى معنوياتهم

ولكن الفاروق عمر رضى الله تعالى عنه تصدى لإخماد تلك الشائعة قائلا : إن الذى عددت لأحياء كلهم وقد بقى لك مايسوؤك .

ولقد نادى الله تعالى المؤمنين وأمرهم أن يأخذوا حذرهم فقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم »(١) .

ونهى الإسلام عن التنازع وعن أسباب التنازع وعن نقل قالة السوء ، والظن السيء ، والتحدث بكل ما يسمع الإنسان كل ذلك مخافة أن تضعف الروح المعنوية ويكون لتلك الشائعات أثرها السيء على نفوس الناس ، ومن تحذير القرآن من التنازع قول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ، وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط »(٢) . وعلى المؤمنين أن يأخذوا حذرهم كما قال تعالى (. . . خذوا حذركم) وألا يعطوا الفرصة المنافقين ومروجى الإشاعات وأن يصدوهم صيانة للمجتمع وحفاظاً على أمنه .

---

(١) النساء (٧١) .

(٢) الأنفال (٤٥ — ٤٧) .

استتباب الأمن ثمرة الايمان والعمل الصالح

لقد وعد الله سبحانه وتعالى رسوله عليه الصلاة والسلام أن يجعل أمته خلفاء فى الأرض ، وأئمة الناس ، وجعل صلاح البلاد بهم . كما وعد بأن يبدلهم من بعد خوفهم أمنا ، وقد حقق الله سبحانه وتعالى ذلك كما قال جـــل شأنه « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لايشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » . سورة النور (٥٥) .

ولقد تحقق هذا الوعد من الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام ، فلم ينتقل الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلى جوار ربه حتى فتح الله عليه مكة وخيبر وسائر جزيرة العرب .

ولقد كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وأصحابه بمكة ، مكثوا نحوا من عشر سنين يدعون إلى الله وحده ، وإلى عبادته وحده لا شريك له سرا ، وهم خائفون لايؤمرون بالقتال ، حتى أمرهم الله تعالى بالهجرة إلى المدينة وأمرهم بالقتال ، وكانوا خائفين يمسون فى السلاح ويصبحون فى السلاح ، فصبروا على ذلك ما شاء الله تعالى لهم أن يصبروا ، فقال رجل من الصحابة يا رسول الله أبد الدهر نحن خائفون هـكذا ؟ أما يأتى علينا يوم نأمن فيه ، ونضع عنا السلاح ؟ فقال رسول الله ﷺ : « لن تصبروا إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم فى الملأ العظيم محتبيا ليست فيه حديدة » وأنزل الله هذه الآية الكريمة ، فأظهر الله نبيه على جزيرة العرب فأمنوا ووضعوا السلاح .

ثم أن الله سبحانه وتعالى لمـا قبض رسوله عليه الصلاة والسلام كانوا كذلك آمنين فى عهد أبى بـكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

ولقد وعد رسول الله صلوات الله عليه المسلمين بنعمة الأمان حين قال لعدى بن حاتم، حين وفد عليه: «أتعرف الحيرة؟ قال: لم أعرفها ولكن سمعت بها، قال: فو الذى نفسى بيده ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت فى غير جوار أحد، ولتفتحن كنوز كسرى بن هرمز، قلت كسرى بن هرمز قال: نعم؟ وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد»، قال عدى بن حاتم: فهذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت فى غير جوار أحد.

ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز، والذى نفسى بيده لتكونن الثالثة، لأن رسول الله ﷺ قد قالها.

وهكذا حدث الأمن كما وعد الله تعالى، كما وعد رسوله صلوات الله وسلامه عليه، وجاء ثمرة مترتبة على الإيمان بالله، وتوثيق الصلة به، وعمل الصالحات.

والأمن كما هو نعمة فى الدنيا دعا بها الأنبياء والمرسلون، كما فى دعوة إبراهيم عليه السلام: «رب اجعل هذا البلد آمنا» وكما فى الآية السابقة: «وعد الله الذين آمنوا ..».

فهو أيضا من نعم الله سبحانه وتعالى فى الآخرة ينعم بها عباده المؤمنون المخلصون كما قال تعالى: «إن المتقين فى مقام أمين» وكما قال جل شأنه: «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون». الأنعام (٨٢).

ولما نزلت هذه الآية الكريمة، قال رسول الله ﷺ: «قيل لى أنت منهم». وقال صلوات الله وسلامه عليه: «من أعطى فشكر ومنع فصبر وظلم فاستغفر وظلم فغفر» وسكت فقالوا: يا رسول الله ماله؟ قال: «أولئك لهم الأمن وهم مهتدون».

وكما أن الأمن ثمرة الإيمان والعمل الصالح فهو أيضاً سمة المؤمن الصادق فى إيمانه فإذا صدق إيمان الفرد وإذا صدق أيضاً إيمان الجماعة عاشوا حياتهم آمنين لا يخافون ولا يفزعون ولا يخيفون أحدا ، ولا يروعون الناس ، بل إن الناس يلجئون للمؤمنين الصادقين ويأمنونهم على دمائهم وأموالهم .

ولقد وضح رسول الله صلوات الله وسلامه عليه سمة من سمات المؤمن وهى أن يأمنه الناس فقال صلوات الله وسلامه عليه : « والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم » . رواه الترمذى .

وتركيزاً على « الأمن » كعلامة مميزة للمجتمع المؤمن وسمة ملازمة للمؤمنين نرى أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ينظر إلى من يرجى منه الخير ولا يخاف أحد منه ويؤمن الشر من جانبه بأن مثل هذا الإنسان هو خير الناس ، فيقول صلوات الله وسلامه عليه : « خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره » . رواه الترمذى .

وقد أنكر الإسلام على من يستخدم السلاح فى غير موضعه ، وبغير وجه حق ، يروى عن الحسن : أن رجلا شهر سيفه على رجل ، فجعل يفرقعه ، فبلغ ذلك أبا موسى الأشعرى فقال : مازالت الملائكة تلعنه حتى غمده أو أغمده . وحرم الإسلام قتـــال الإنسان لأخيه الإنسان وترويعه بأى حال من الأحوال ، وتوعد الإسلام المسلمين المتقاتلين بالنار ، لخروجهما على دعوة الإسلام للأمن والأمان ، والاستقرار والاطمئنان .

عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فقتل أحدهما صاحبه ، فالقاتل والمقتول فى النـار » قيل : يارسول الله هذا فى القاتل فما بال المقتول ؟ قال : « إنه كان حريصاً على قتل صاحبه » .

ويوضح رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أن المؤمن هو الذى يأمنه الناس ولا يخافونه ولا يخونونه بل يأمنونه على دمائهم وأموالهم فيقول صلوات الله وسلامه عليه : « والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم» رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه .

ولقد وضح الرسول صلوات الله وسلامه عليه أن طريق الدعـــوة الإسلامية طريق وادعة آمنة ، ومهما اعترضها من عقبات فإن الله تعالى متمم نوره ، وسوف يؤمن طريقها ، فقال صلوات الله وسلامه عليه لخباب ابن الأرت . « وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله » . رواه البخارى .

ويقص علينا القرآن الكريم أروع صور الأمن والأمان التى هيأها الله سبحانه وتعالى للمؤمنين والمخلصين فى أعمالهم ، وأنه سبحانه قد مكن للناس حرما آمناً فى مكة المكرمة ولكن فريقا من المشركين المقيمين هناك ، تذرعوا بأسباب واهية وتعللوا بعلل لا أساس لها من الصحة، فقد احتجوا لعدم اتباع الهدى بأنهم يخافون على أنفسهم ولا يأمنون من أعدائهم فهم يخشون أن اتبعوا رسول الله ﷺ ، أن يتخطفهم المشركون الذين يجاورونهم ، فرد الله سبحانه وتعالى عليهم تلك العلة الواهية ، ووضح لهم أنه جعل لهم حرما آمنا ورزقهم من كل شىء فكيف نسوا أنه حرم آمن لهم فى وقتهم الحاضر وكيف لا يكون آمنا لهم وسلاما لهم بعد أن يدخلوا فى دين الله ، قال تعالى : « وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شىء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون » . القصص (٥٧) .

والأمن والرخاء نعمتان من أجل النعم الإلهية يهبهما الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين المخلصين ، وهو سبحانه حين أمر بعبادته ذكر عباده بهاتين

النعمتين فقال للقرشيين : « فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » ، وإذا كان الأمن والرخاء نعمتين كريمتين للمؤمنين فإنه يقابلهما نقمتان شديدتان يسلطهما الله تعالى على الكافرين والجاحدين وهما : الخوف والجوع « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » (النحل ١١٢) .

دعوة إلى الحفاظ على الأمن الداخلي

والأمن الخارجي

حذر الإسلام من إطلاق الاشاعات ، ومن إذاعة أنباء الأمن أو أنباء الخوف أو بعبارة أخرى أخبار الحرب أو السلام ، حذر الإسلام من إذاعة تلك الأنباء ومن نشرها بين الناس دون الرجوع إلى ولي الأمر ، وذلك لأن أخبار الأمن أو السلام إذا أذيعت قد تدعو إلى التراخي عن الاستعداد والتأهب والأخذ بأسباب القوة ، ولأن إشاعة أخبار الخوف أو الحرب قد تفت في عضد البعض من الناس ومن أجل هذا نعى الإسلام على من يفعلون ذلك ويطلقون الشائعات : قال الله سبحانه وتعالى : « وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا » . النساء (٨٣) .

وفي عدم ترويج الإشاعات حفظ للأمن الداخلي وصيانة للمجتمع من الداخل حتى لا يتسرب إليه الضعف أو الخوف والرعب .

وإذا كان عدم ترويج الشائعات من أهم وسائل حفظ الأمن الداخلي ، فإن هناك عاملا آخر له أثره وفاعليته في هذا المجال ، وهو عامل إيجابي : بأن يقوم كل إنسان بعمله فلا يهمل أحد في واجب يكلف به ولا يفرط في رسالة يقوم بها بل عليه أن يؤدي واجبه ، وأن يقوم به على أحسن وجه بحيث يكون متقناً له ، ففي قيام كل إنسان بعمله وأداء الأفراد والجماعات لمهامهم في هذا إستقرار وتجاوب مع المجتمع فلا يكون هناك مجال للاختلاف أو ألوان الإثارات المختلفة ، ولقد حث الإسلام على العمل ودعا إلى إتقانه ، وقال صلوات الله وسلامه عليه : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه »

وقال : « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وأن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » .

ولقد عرفت عصور الإسلام الأولى أنظمة وإدارات لحفظ الأمن الداخلى بين البلاد ، وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أول من أدخل نظام العسس وكانت الشرطة تابعة للقضاء فى مبدأ نشأتها ، وكانوا مكلفين بتنفيذ الأحكام القضائية ، وتنفيذ الحدود ، ولما تعددت الأعمال وكثرت طالب صاحب الشرطة بالاستقلال فأصبح من حقه النظر فى الجرائم والأعمال ، يقول المؤرخ الكبير العلامة ابن خلدون فى مقدمته : « كان أصل وضعها فى الدولة العباسية لمن يقيم أحكام الجرائم فى حال استبدائها أولا ثم الحدود بعد استيفائها ، وكان الذى يقوم باستيفاء الحدود لمذا تنزه عنه القاضى يسمى صاحب الشرطة وربما جعلوا إليه النظر فى الحدود والدماء بإطلاق ، وأفردوها فى نظر القاضى ، وقلدوها كبار القواد وعظماء الخاصة من مواليهم ، وكان حكمهم على الدهماء وأهل الرتب والضرب على أيدى الرعاع والفجرة ، ثم عظمت نباهة الشرطة فى دولة بنى أمية بالأندلس ونوعت إلى شرطة كبرى وشرطة صغرى وجعل له الحكم على أهل المراتب السلطانية والضرب على أيديهم فى الظلومات وعلى أيدى أقاربهم ومن إليهم من أهل الجاه وجعل صاحب الشرطة الصغرى مخصوصاً بالعامة ، ونصب لصاحب الكبرى كرسى بباب دار السلطان يتبوءون المقاعد بين يديه ، فلا يبرحون عنها إلا فى تصريفه » اهـ .

ومن أهم الوظائف والأعمال التى نشأت فى ظل الإسلام للحفاظ على الأمن داخل الدولة الإسلامية : « نظام الحسبة » وكانت فى مبدأ أمرها تقوم على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ثم تطور هذا النظام باتساع الدولة الإسلامية وتعدد وسائل الحياة فصارت من الوظائف الكبيرة

والمناصب الهامة فى الدولة وأصبح حق المحتسب الاستعانة برجال الشرطة فى تنفيذ أحكامه .

وأصبح من عمل «المحتسب» أن ينظر فى مراعاة أحكام الشرع والإشراف على نظام الأسواق ، وعلى الموازين والمكاييل وغير ذلك .

وقد دعا الإسلام إلى استتباب الأمن الداخلى فى كل صورة من صوره وفى كل مجال من مجالاته . فإذا نظرنا إلى نظرة الإسلام إلى أمن الإنسان الذاتى نجده يأمر الإنسان أن يكون معتدلا سائراً فى طريق الأمان ويحذره أن يلق بنفسه فى التهلكة « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ويوضح رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بأن أمن الإنسان على نفسه نعمة كبيرة إذا تحققت معها عافية البدن وقوت اليوم فقد اكتملت أسباب السعادة وكأنما حيزت الدنيا للانسان .

« من أصبح منكم آمنا فى سربه ، معافى فى جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا » رواه الترمذى .

وإذا نظرنا إلى دعوة الإسلام فيما يتصل بجانب الأمن الداخلى — بالنسبة للأهل والأسرة — نجد وصاياه فى هذا لا حدود لها وحسبنا قول الله سبحانه وتعالى : « يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا » .

وإذا نظرنا إلى الوصايا بأمن الجيران نجدها تبلغ الغاية فى التأكيد لدرجة قصوى حتى أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يقول .

« مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » وقال ﷺ « والله لا يؤمن — ثلاثا — قيل — من يارسول الله ؟ قال : الذى لا يأمن جاره بوائقه » .

أما فيما يتصل بدعوة الإسلام إلى الأمن الخارجى فإن الناظر إلى تاريخ الدعوة الإسلامية من أول وهلة يرى أنها قامت وانتشرت بالحكمة والموعظة الحسنة .

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » .

ولم ينتشر الإسلام بالحرب ولا بالسيف ولا بأى أسلوب ما من أساليب القوة والقهر بل إن مشروعية الجهاد تتلخص حكمتها فى الدفاع عن الدين وتأمين الطريق أمام الدعوة الإسلامية وفى الدفاع عن النفس والوطن، فهو جهاد فى سبيل الله، لاصلة له بأساليب القهر والسطو والاستعمار، وإن المتتبع لآيات الجهاد فى القرآن الكريم يجد أنها قد خصته بإطار سليم نقى هو أنه فى سبيل الله قال الله تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » . التوبة ١١١) .

والإسلام يدعو إلى الأمن والسلام فى قوله تعالى : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم » .

وقال تعالى : « ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » ويؤكد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه على الأمن والسلام وعلى أن من حمل على المسلمين السلاح فليس منهم فقال صلوات الله وسلامه عليه : « من حمل علينا السلاح فليس منا » رواه أحمد والبخارى ومسلم والنسائى .

ويوضح أهم سمات الإنسان المؤمن الصادق فى إيمانه وهى سمات الأمان فيقول صلوات الله وسلامه عليه : « إن المؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم » رواه البخارى .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن أناسا كانوا يؤخذون بالوحى فى عهد رسول الله ـ وأن الوحى قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم ، فمن أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه وليس إلينا من سريرته شىء

والله يحاسبه فى سريرته ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه ولم نصدقه ، وإن قال إن سريرته حسنة . رواه البخارى .

وهكذا نرى أن الإسلام يحرص على إقرار الأمن الداخلى وإقرار الأمن الخارجى حتى يعيش الناس فى استقرار وطمأنينة لا يتفزعون ولا يخافون .

وفى ظل الأمن والطمأنينة يؤدى كل فرد واجبه على أحسن ما يكون وتؤدى كل جماعة واجبها كأحسن مايكون الأداء .

وفى الجو الآمن تنطلق الكلمة المعبرة ، والفكر المبدع والعمل المتقن المدروس .

وفى جو الأمن يحيا الناس مطمئنين فرحين مستبشرين يؤدون واجباتهم فى هدوء واستقرار ، وفى سعادة وهناء وسلام ...

دعوة الإسلام إلى أمن حقوق الإنسان

اشتملت الشريعة الإسلامية ، على كل ما فيه سعادة البشرية ، فى الدنيا والآخرة ، واستوعبت بتعاليمها السمحة وقوانينها الثابتة المحكمة كل ما يكفل للفرد والجماعة حياة طيبة فى الدنيا ، ومثوبة عظيمة فى الآخرة ، قال الله تعالى : « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » . (سورة النحل ٩٧) .

وكان للشريعة فضلها الذى لا ينكر حتى من أعداء الإسلام فى ترسيخ دعائم الحق ، ونشر قوانين العدالة التى أنقذت الإنسانية المعذبة من مخالب الجهالة والضلال وأخذت بيد الضعيف ، ورفعت من قيمة البسطاء العاديين والفقراء والكادحين وكل فئات النوع الإنسانى ، التى كانت تجرفها تيارات الضياع والهلاك ، وهى معزولة وضعيفة لا تملك من أمرها شيئا .

وكان للشريعة فضلها الذى لا ينكر فى نظرتها الحانية إلى الفقراء والمساكين وأبناء السبيل واليتامى ، والأرقاء والخدم وأصحاب المهن البسيطة والحرف العادية وغير ذلك ، فجعلت الشريعة لهم فى صفوف الحياة الكريمة مكاناً واضحاً ووضعا لا يغبنون فيه ، كل ذلك قبل أن تعرف المواثيق الدولية حقوق الإنسان بأربعة عشر قرنا . . وكان للشريعة فضلها فى إعطاء المرأة حقها ، بعد أن كانت لا حق لها . بل كانت محرومة من كل الحقوق حتى من حق الحياة نفسها ، إذ كانت توءد وهى طفلة صغيرة إلى غير ذلك من الحقوق التى لا تحصى ، فى شتى المجالات ، ولسائر فئات الناس ، من رجل أو إمرأة ، ومن حر أو عبد ومن غنى أو فقير ومن أفراد أو جماعات ومن أمم أو شعوب .

لقد كفلت الشريعة الإسلامية لبني الإنسان الكرامة والعـــزة ، يتمتع بها المؤمنون السائرون على هديها ومبادئها . قال الله سبحانه : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » . (سورة المنافقون ٨) .

أساس حقوق الانســان :

وأقامت شريعة الحق بناء على دعوتها وجميع ما تقرره من حقوق للانسان على أساس الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له ، وهنا نقف على عظمة الشريعة الإسلامية وحكمتها ، وعلى قوة تنفيذ هذه الحقوق من الحاكم ومن المحكوم ، ومن الرئيس ومن المرءوس ، ومن الغنى والفقير وهكذا . . فإذا كان الإيمان هو القاعدة التى تنطلق منها دعوة المصلين والنداء بحقوق الإنسان تشريعا وتطبيقا فإن للايمان أثره فى الالتزام بتحقيق العدل والخير وبسرعة الطاعة فى كل أمر وتنفيذ كل حق من الحقوق .

ويظهر جانب الالتزام بتنفيذ كل الحقوق، على هدى من الكتاب والسنة وطاعة لله ولرسوله، قال تعالى «يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » سورة النساء ٥٩ .

وبين الله تعالى أن فى تنفيذ ما أمر به ، وفى طاعة رسوله ﷺ الرحمة للانسان ، قال سبحانه : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون » (سورة النور ٥٦) .

وقال تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » (سورة الحشر ٧) .

وهنا نرى الفارق الكبير بين دعوة الشريعة إلى حقوق الإنسان وبين الدعوات الأخرى التى تنادى بها المواثيق الدولية ، فإن الدعوة إلى حقوق الإنسان ، فى رحاب الشريعة ، نابعة من الإيمان صادرة عن العقيدة

الإسلامية التى يلتزم أمامها الإنسان المسلم ، ويرى ضرورة العمل والتطبيق وتنفيذ الحقوق بأسرع ما يكون ففى تنفيذها الأمن ، وفى تطبيقها الرحمة، وفى البعد عنها والنكوص عما تنادى به ، بعد عن حقيقة الإيمان ووقوع فى الخسران ، فثمرة حقوق الإنسان فى رحـــاب الإيمان أنها مأمونة الجوانب لا خوف عليها من أحد، لأن المسلمين يصدرون عن عقيدة وراءها حساب وثواب وعقاب بخلاف غيرهم .

وأما الجانب الثانى : الذى يلتزم فيه بتطبيق وتحقيق حقوق الإنسان إنطلاقاً من الإيمان فهو جانب المراقبة ، وهذا ليس موجوداً عند المسلمين ، ويظهر أثر ذلك فى سرعة إعطاء كل ذى حق حقه وعدم الجور على حقوق الآخرين ، فإذا حدثت إنسانا نفسه أن يسطو على مال الغير أو حياته أو عرضه أو حريته أو أن يسلبه حقا ما من الحقوق فإن عنصر المراقبة يوقظ فى أعماقه الضمير الدينى الذى يجعله يدرك خطورة ما يقع فيه ومدى عاقبة الجرم الذى يرتكبه فإنه يؤمن بأن الله مطلع عليه يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور ، ويعلم ماتبدون وماتكتمون .

وكما رأينا بأن الإيمان هو الأساس الأصيل ومنه يكون الالتزام بأداء الحقوق ومراقبة الله السميع البصير فيها، فإن فى الشريعة الإسلامية تطبيقات لحقوق الإنسان واجبة الاداء كالزكاة وصلة الرحم وإكرام الجار وحسن معاملته وإعطاء كل ذى حق حقه فى البيع والشراء وفى العمل وفى الشركة وفى الاجارة وغير ذلك من المعاملات التى استوفاها الفقه الإسلامى بأبوابه وفصوله . .

ثم كان فى الجانب الأخلاقى سمو بها إلى المثالية العالية حيث لا يكتفى الإنسان بالقيام بالواجب فحسب ، بل إن هناك جوانب أخرى نادى بها إرتفاعا بحقوق الإنسان وشمولا لكل مناحى الحياة وجوانبها المختلفة وعلاقاتها المتعددة .

وتحقيقا للأمان على هذه الحقوق نجد فى الحدود الإسلامية ما يحفظ للانسان حقه فى الحياة وفى المال وفى العرض ، وفى الحرية والمساواة ، والعمل والشورى والكرامة وما إلى ذلك من الحقوق التى كفلها الاسلام وحافظ عليها ودعا لها .

ففى الاعتداء على حق « الحياة » تكون العقوبة من جنس الجريمة ، قال الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ، ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » (سورة البقرة ١٧٨ - ١٧٩) .

وبالنسبة لحق الإنسان فى الأمن نجد الشريعة قد جعلت للاعتداء على هذا الحق حداً هو حد الحرابة ، قال تعالى : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم » (المائدة ٢٣ ، ٢٤)

وبالنسبة لحق « المال » نجد الشريعة قد جعلت عقوبة الاعتداء على هذا الحق ما وضحه القرآن الكريم فى قول الله تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم » (المائدة ٣٨) .

وعن حق النسل أو العرض ، نرى عقوبة ذلك فى قوله تعالى : « الزانى والزانية فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ... »

وبالنسبة للمحصن الرجم وهكذا .. إلى آخر الحدود والعقوبات التى جاءت فى الشريعة الإسلامية ولا نجد لها مثيلا فى أى قانون من القوانين الوضعية . .

إنها حدود وعقوبات عادلة تقوم بحفظ حقوق الإنسان ورعايتها وصيانتها من التعرض لها . إنها تصون حقوق الإنسان فى حياته ونسبه وماله وعرضه وهكذا نرى شريعة الله تنادى بالمحافظة على حقوق الإنسان واستتباب الأمن والطمأنينة فى الحياة على شتى مجالاتها .

ومما سبق يتضح أن الشريعة الإسلامية ، قد استوفت كل الحقوق بعقيدتها الصحيحة التى هى أساس العبادة والعمل والأحكام والأخلاق وبتشريعاتها ومبادئها المستقيمة ، التى تصون حقوق الإنسان وتحافظ عليها وتدعو لها على هدى بصيرة .

إنها الشريعة التامة الكاملة التى أكملها الله وأتم بها النعمة ، قال سبحانه: « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا (المائدة ٣) .

وقال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتى » رواه الحاكم .

وبهذا التشريع الربانى المحكم والوحى الإلهى صان الإسلام حقوق الإنسان ونادى بتطبيقها ، وشرع الحدود عقوبة للمعتدين عليها ، والمقتحمين حماها بغير حق وبهذا أعطى الإنسان حقه فى الحياة الكريمة بعد حقبة من الزمن عاشها الإنسان يرسف فى أغلال الظلم والاستعباد حتى جاء الإسلام ففك هذه الأغلال وحرره وكرمه وجعل حياة المجتمع الإسلامى تشرق بالتوحيد الخالص الذى لاشرك فيه وبالعدالة الكاملة التى لاظلم معها وأحل الإسلام الكرامة محل الاستذلال والمساواة محل التفرقة والعلم محل الجهل ،

والحرية بدل الاستعباد والتعارف والتآلف بدل التناكر والاختلاف ، والعمل بدل البطالة والشورى بدل الاستبداد بالرأى والإيثار بدل الأنانية والحق بدل الباطل ، وأكد الإسلام على حرمات المسلمين .

فقد جاء فى خطبة رسول الله صلوات وسلامه عليه فى حجة الوداع قوله : « أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ، ألا هل بلغت اللهم فاشهد ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه .. »

ويدعم القرآن أصول الحق وركائز الإيمان مناديا بالأصول الأساسية لحقوق الإنسان فى قوله تعالى :

« إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا .. » .

عناية الإسلام بحقوق الإنسان وصيانة حرماته

لقد كرم الإسلام الإنسان ومنحه من الحقوق ما يكفل له الأمن، والاستقرار وما يحفزه إلى القيام بالمسئولية المنوطة به وما يدفعه إلى الاضطلاع بمهامه فى الحياة فكرمه الله سبحانه وسخر له البر والبحر، ورزقه من الطيبات وحباه من الرفعة والخير، بحيث فضله على كثير من خلقه، كما قال الله سبحانه وتعالى: «ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا» (سورة الإسراء ٧٠).

وكان الإنسان جديرا بهذه الأفضلية، جديرا بهذا التكريم لما سيعهد إليه من مسئولية وما سيلقى على عاتقه من أمانة إلهية ناءت بحملها السموات والأرض والجبال وأبين أن يحملنها وأشفقن منها، كما قال الله سبحانه: «إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا». (سورة الأحزاب ٧٢).

إن خلافة الإنسان على الأرض وقيامه بمسئوليته فيها نشراً للحق وإحقاقا له. ودعوة إلى قيوم السموات والأرض، وأن خلافته هذه قد مهد الله تعالى لها منذ أول وهلة، وهيأ فيها آدم عليه السلام لمهمة الخلافة فعلمه الأسماء كلها، وكانت الحكمة الإلهية قد اقتضت ذلك حتى تنشر ذرية آدم وفيهم العاصى والمطيع فيظهر العدل بينهم. عن هذه القضية الأولى فى حياة الإنسان وخلقه وخلافته، يقول الله سبحانه وتعالى: «وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال: إنى أعلم ما لا تعلمون وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا: سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم

الحكيم قال : يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ».

ولقد صان الإسلام حقوق هذا الإنسان وحفظ حرماته وحذر من الاعتداء عليها فصان حرمة النفس وحرم سفك الدماء وصان حرمة المال فحرم الاعتداء عليه أو أكله بالباطل وصان حرمة العرض، وفى حجة الوداع خطب الرسول ﷺ فى الناس كما سبق وقال: أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا .. ألا هل بلغت اللهم فاشهد ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه .

فأما حق الحياة فقد صانه الإسلام حين صان حرمة النفس الانسانية وهدد الذين يعتدون على حياة الآخرين ظلما وعدوانا : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيما » سورة النساء (٩٣) .

ونهى عن الاعتداء على حق الحياة ، وقتل النفس ، إلا بالحق فقال الله جل شأنه : « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق » سورة الإسراء (٣٣) .

ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل مؤمن بغير حق » رواه ابن ماجه .

وقد تناولت السنة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بيان ذلك الحق الذى تقتل به النفس وفيما عداه يكون الاعتداء عليها جرما شنيعا وعدوانا صارخا ، عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة » . رواه البخارى ومسلم .

ويعتبر الإسلام أن الأعتداء على النفس الانسانية الواحدة هو اعتداء على الانسانية بأسرها يقول الله تعالى : «من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا» (سورة المائدة ٣٢) .

وأما عن حق المال فقد عنى الاسلام بتيسير طرق تحصيله وتمهيد الأرض وتذليل السبل فمن طريق الزراعة وجه الاسلام أتباعه إلى استنبات الأرض واستثمارها ونعمه موجودة منتشرة حيث أعدها ومهدها لذلك قال سبحانه : «فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا ، فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعا لكم ولأنعامكم» سورة عبس (٢٤ – ٣٢) .

كما أشار إلى تحصيله عن طريق الصناعة (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) (سورة الحديد ٢٥) .

وأمر الاسلام بتحصيل المال أيضا عن طريق التجارة قال تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » .

والعناية بالأموال فى جميع الأديان شرعة قديمة لم تختص بها أمة دون أخرى وقد أنزل الله سبحانه وتعالى جزاءه وعقوبته ببعض الأمم وبعض الناس الذين كانوا يأكلون الأموال بالباطل وأشاعوا الظلم بين العباد وأكلوا الربا فعاقبهم الله سبحانه وتعالى : « فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل » سورة النساء (١٦٠ – ١٦١)

وتمثل الزراعة والصناعة والتجارة عمد الحياة الاقتصادية التى لا يمكن أن يعيش بدونها مجتمع ما من المجتمعات ، فكما يحتاج المجتمع إلى الزراعة

لتوفير المواد الغذائية فإنه يحتاج إلى الصناعة لإعداد ملبسه ومسكنه ويحتاج إلى تبادل كل هذا مع المجتمعات والأمم الأخرى التى لا تقم فيها الزراعة أو الصناعة وذلك عن طريق التجارة .

والاسلام حين يؤكد الوصية بصيانة حق المال فانه يعمل على توثيق الحقوق بين العباد وذلك بالوفاء بالعقود .

« يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » (.. سورة المائدة ١) .

ويأمر بالكتابة حال الدين : « يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » (سورة البقرة ٢٨٢) .

ويأمر بالاشهاد فى البيع محافظة على الحقوق « وأشهدوا إذا تبايعتم » (سورة البقرة ٢٨٢) .

وحرم التعامل بالظلم كالربا وهدد المتعاملين به بالحرب فى قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » . (سورة البقرة ٢٧٨ - ٢٧٩) ،

وإلى جانب صيانته للأموال فإنه وجه الإنسان إلى إنفاقها فى وجوهها المشروعة وأداء الحقوق الواجبة فيها . فينفق منها على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل قال الله : « وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون » .

وأما عن العرض فقد صان الاسلام حرمة الأعراض وحفظ كرامة الناس وحذر من الغيبة والنميمة ، والوقوع فى حق المسلم أو شرفه وكرامته، وحرم السخرية بالناس واللمز والتنابز بالألقاب ، وسوء الظن بهم، كما حذر من التجسس قال سبحانه : « يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى

أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاثم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون » .. سورة الحجرات (١١) .

ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم » ويقول الرسول ﷺ محذرا من الظن : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث .. ولا تحسسوا ولا تجسسوا » .

ويحرم الرسول ﷺ تتبع عورات الناس يقول صلوات الله وسلامه عليه : « إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم » رواه أبو داود .

وهكذا نرى عناية الاسلام بحقوق الانسان وصيانة حرماته والمحافظة عليها، وقد تربى وتعلم على هذه التعاليم الالهية القويمة الرعيل الأول من هذه الأمة فصانوا الحرمات وحافظوا على الحقوق وأدوا الأمانات فعاشوا حياة سعيدة رشيدة تفيض عدلا ورحمة وأمنا .

لقد ترعرعت ضمائرهم على الأمانة وعاشوا حياة مترعة بالحب والخير، كانوا أمناء بمعنى الكلمة يراقبون ربهم فى السر والعلانية لا يخافون فى الحق لومة لائم ولا تغريهم الحياة الدنيا بزينتها وزخرفها وبهجتها .

وهذا هو عبد الله بن دينار يقول خرجنا مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى مكة فعرسنا فى بعض الطريق (أى نزلنا للاستراحة) فانحدر بنا راع من الجبل فقال له : يا راعى بعنى شاة من هذه الغنم فقال : إنى مملوك فقال : قل لسيدك أكلها الذئب) يريد بهذا أن يختبر أمانته وتقواه فقال الراعى : فأين الله ؟ فبكى عمر رضى الله عنه ثم غدا مع المملوك ، فاشتراه من مولاه وأعتقه ، وقال أعتقتك فى الدنيا هذه الكلمة .

وأرجو أن تعتقك فى الآخرة . هكذا عاش الرعيل الأول من هذه الأمة بأمانة كاملة لا نظير لها .

وما أحوج المسلمين اليوم فى شتى أنحاء الدنيا أن يأخذوا بتعاليم الاسلام وأن يطبقوا مبادئه القويمة وأن يعتصموا بحبل الله جميعا حتى تستقر الحقوق وينتشر الأمن وتصان الحرمات ويفتح الله عليهم بركات من السماء والأرض ويتم نصر الله لهم ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

حرمة النفس وحقها فى الحياة

حق الحياة بالنسبة للانسان أغلى ما يكون ، إذ أن الحياة منحة إلهية أعطيت للانسان . ليقوم برسالته على ظهر الأرض وليؤدى رسالته فى الحياة إيمانا وعملا . وعبادة لله الخالق الرازق المحي المميت ، الذى بيده مقاليد السموات والأرض وهو على كل شىء قدير .

وقد حدد الإسلام مهمة الإنسان فى الحياة ورسالته فيها ، باستخلافه فى الأرض وقيامه بتوحيد خالقه ورازقه وعبادته وحده لا شريك له وشكراً لله على آلائه ونعمائه وهو سبحانه الغنى الحميد .

قال تعالى : « وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » ٥٦ — ٥٨ الذاريات .

إذا فلم يخلق الله عباده عبثا — حاشا لله — وليست حياة الناس من السهولة بمكان بحيث يتخلصون منها أو يعتدون على نفوس غيرهم ، فإن الحياة والموت بيد الله المحي المميت .

فى خطبة الوداع :

وأكد الإسلام حرمة النفس وحقها فى الحياة ووضح رسول الله صلوات الله وسلامه عليه هذه الحقيقة فى خطابة الوداع إذ يقول :

(إن دماكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ألا هل بلغت اللهم فاشهد ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) .

من أجل هذا نجد أن الاسلام قد حرم كل ألوان الاعتداء على حق الحياة بأية صورة وعلى أى وضع كان هذا الاعتداء والظلم .

فحرم قتل الأولاد الصغار ، وحرم وأد البنات كما كان في الجاهلية ، وأنكر عليهم تلك الوحشية الظالمة : « وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون » .

قال سبحانه : « وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت » وقال تعالى : « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا » الاسراء ٣١ .

كما حرم اعتداء الانسان على نفسه كظاهرة الانتحار قال تعالى: «ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما » النساء ٢٩ .

ولمرتكب هذا الجرم عقابه في الآخرة من نوع ذنبه وجريمته في الدنيا فإن قتل نفسه بسم أو حديدة أو تردى من جبل فهو على ذلك في النار .

قال رسول الله ﷺ « من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا . ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا فيها أبدا ، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا » . رواه البخاري ومسلم .

تحريم قتل الغير :

كما حرم الاسلام قتل الغير بغير حق وتوعد عليه فالقتل من أكبر الكبائر وأخطر الجرائم وأشدها على الأفراد والجماعات ، إنها جريمة إذا ظهرت في مجتمع أو تفشت في بيئة ، نشرت الرعب والفزع وقضت على الأمن والاستقرار وأشاعت الاحن والبغضاء ، وقضت على الروابط الانسانية ورملت النساء ويتمت الأطفال ، لهذا أنزل الله تعالى في شأن

القاتل وعيدا شديدا ، قال سبحانه : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما » .

وقال سبحانه : « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق » ، وهذا الحق فسرته السنة الشريفة ، قال صلوات الله وسلامه عليه : « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة » رواه البخارى ، ومسلم .

القصاص فى الشريعة :

ولما كان فى القتل عدوان على النفس بغير حق للنوع الانسانى وإفساد للمجتمع وقضاء على عضو من أعضائه وإهدار لحق الحياة وهو أغلى شىء عليه شرع القصاص زجراً للناس وجزاء على الاعتداء على النفس فهو من أعظم الجنايات بعد الشرك بالله لهذا كان القصاص ليكف الجانى وتسلم الحياة من العدوان وصدق الله إذ يقول : « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » .

وحين تحدث القرآن عن أول جريمة قتل على ظهر الأرض فى قوله تعالى : « واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال : إنما يتقبل الله من المتقين » .. حين تحدث القرآن بهذا النبأ كشف عن طبيعة العدوان الكامنة فى النفوس الشريرة والعدوان الصارخ منها وكشف عن الجريمة المنكرة التى تثير الضمير الإنسانى والشعور الجارف الحار والحاجة الملحة إلى قصاص عادل ، يصون حق النفس ، فمن أجل هـــذه النماذج الشريرة والعدوان الصارخ على الأبرياء ، كان قتل النفس الواحدة حين لا يكون قصاص ولا دفاع عنها ، يمثل قتل جميع الناس لأنها واحدة من نفوس البشر جميعا ، تشترك هى وغيرها فى حق الحياة وكان

إبقاؤها حية والدفاع عن حقها فى الحياة أو بالقصاص ، إذا اعتدى عليها يمثل إحياء النفوس جميعا فى صيانة حياتها صيانة لحق الحياة الذى يشترك فيه الناس جميعا ، فقال تعالى تعقيبا على نبأ ابنى آدم : « من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا »

القصـــاص حيـــاة :

وقد بين الله تعالى أن القصاص حياة وهذا هو وجه الحكمة فيه ، قال سبحانه : « ولكم فى القصاص حياة » وذلك من وجهين :

الأول : أن فيه الحياة بطريقة الزجر فإن الإنسان الذى يقصد قتل إنسان آخر إذا فكر فى عاقبة أمره ، وما يلحقه من جريمته ، وأنه إذا قتله قتل به انزجر عن قتله فكان حياة لهما ، لذا فإن الإنسان الذى تحدثه نفسه بهذه الجريمة ، حين يعلم أن حياته ثمن لجريمته أو أنه إذا قطع أو أتلف عضوا ألحق به مثل ذلك ، فلا شك أنه يفكر مرات قبل الاقدام على مثل هذه الجريمة بما يجعله يكف عما يريده ، فتكون فيه حياة لمن يريد الاعتداء عليه وحياة له ، وليس الأمر كذلك حين يعلم أن جزاءه السجن مثلا ، إذ أن الحاقه عقوبة فى البدن مثلا قطعاً أو تشويهاً فى الخلقه شىء غير آلام السجن .

الثانى : أن فى القصاص دفعا لسبب الهلاك ، فإن القاتل — بغير حق — يصير حربا لا هوادة فيها على أولياء القتيل لإحساسه بأنهم يلاحقونه لما ارتكبه فهو يخشى على نفسه منهم . فيقصد حربهم ويتمنى إفناءهم ليزيل شبح الخوف الذى يلاحقه ويتابعه والشرع قد مكنهم من قتله قصاصا لدفع شره عن أنفسهم ؛

وفى القصاص إطفاء لثورات القلوب المشتعلة بالسخط والكراهية ،

وقضاء على حزازات النفوس ، التى يقودها الغضب والحمية إلى ظاهرة الثأر ذات العواقب الوخيمة ظاهرة الثأر التى تحرك أهل القتيل لتلمس كل ذريعة لإرواء أحقادهم ، وتحين الفرصة لإهدار الدماء التى لاتقتصر على القاتل وحده أحيانا بل تسيل الدماء على مذابح الاضغان العائلية وبين الحين والحين يهدر دم من هنا ودم من هناك .

لهذا كله شرع القصاص فكان فيه حياة بكل ما تتسع له معنى الحياة ، حياة لمن تحدثه نفسه بالقتل فيكف عنه حين يعلم مصيره وفيه حياة لمن كان سيقع عليه القتل وفيه حياة للعائلات والأفراد والجماعات بسد باب الثأر والعدوان .. ففى القصاص شفاء لنفوس أهل القتيل من الحقد والرغبة فى الثأر .

عناية الإسلام بحرمة الأموال

عنى الاسلام بالمحافظة على حرمة الأموال ، كما عنى بالمحافظة على حرمة النفس الانسانية وعلى حرمة الأعراض تلك الحرمات الثلاث التى هى أغلى ما يحرص عليه كل إنسان فى حياته ومن أجلها يضحى بحياته نفسها . ولقد حفلت آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول العظيم صلوات الله وسلامه عليه بالعناية بها ليأمن الناس فى مجتمعاتهم ، وتسكن حياتهم ، فلا تدنسهم فاحشة ، ولا يلاحقهم خوف ، ولا يفزعهم عدوان ، وفيما رواه الشيخان من خطبة الرسول صلوات الله وسلامه عليه يوم النحر . . فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ألا ليبلغ الشاهد الغائب ، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى منه .

وأريد هنا أن أبرز جانب عناية الإسلام بحرمة الأموال ، وأن الله تعالى قد حرم أكل الأموال بالباطل فقال سبحانه : « يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما » .

وفى هذا تذكير لهم برحمة الله بهم وإذا لم يجد التذكير فهناك التحذير :

« ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا » ويوضح القرآن الكريم مدى رحمة الله الواسعة إذا اجتنبت الكبائر ولم يعتد على حرمات العرض والمال والنفس فقال سبحانه وتعالى :

« إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما » . وإذا نظرنا إلى تعاليم الاسلام فيما يتصل بجانب المحافظة

على حرمة الأموال وجدنا أن الإنسان مسئول عما بيده من مال من جهة امتلاكه والحصول عليه ، وجهة صرفه وإنفاقه من أين اكتسبه وفيم أنفقه. ولا يقبل الله أى تصرف للمال إذا لم يكن طيبا وحلالا حتى ولو أنفقه فى وجوه الخير. وفى الحديث : « من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحمه أو تصدق به أو أنفقه فى سبيل الله جمع ذلك جميعا ، ثم قذف به فى نار جهنم ».

وكثير من الناس يظن أن ما اكتسبه من حرام إذا أدى زكاته أو إذا قام بإنفاقه فى وجوه الخير لا يكون عليه إثم . وهذا خطأ فاحش وزعم باطل لا أساس له .. وكما أن المال الحرام لاينفع صاحبه ولو أنفقه فى الخير، بل يكون زاده إلى النار فكذلك يمنع الكسب الخبيث والمال الحرام من قبول دعاء صاحبه ، قال سعد بن أبى وقاص : « يارسول الله ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة ، فقال النبى ﷺ « يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذى نفس محمد بيده ، إن العبد يقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل الله منه عملا أربعين يوما وأيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به » .

وقد دعا الاسلام إلى العمل والكسب الطيب الذى يكتسب به العبد العزة والكرامة والذى يدفع عن نفسه ذل المسألة ومد اليد كما رسم منهج الإنفاق فى قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : (اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول . وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله (رواه البخارى) .

وكما دعا الإسلام إلى الكسب والانفاق فى الوجوه المشروعة ، فقد نهى عن إضاعة المال . وصرفه فى غير منفعة أو فيما حرم الله ، فالرجل الصالح يكسب المال الصالح لينفقه فى العمل الصالح ، وفى الحديث (نعم المال الصالح

للرجل الصالح) وإضاعة المال مما يكرهه الله لعباده من الخصال وفيما رواه مسلم يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

« إن الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا ، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا . وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال) .

وليست السعادة الحقيقية فى جمع المال وصرفه على حسب الهوى والرغبات النفسية والمتعة المادية والجسدية ولكن المال الذى يغبط عليه صاحبه هو الذى يصرف فى الوجوه المشروعة وفى جانب الحق يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : (لا حسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته فى الحق ، ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها) رواه البخارى .

ولم تقتصر تعاليم الإسلام فى العناية بحرمة الأموال عند تحديد طرق كسبها ووسائل إنفاقها وعدم إضاعتها فى الباطل .. لم تقتصر على ذلك فحسب بل إن الشريعة الإسلامية . قد أحاطتها بعناية كثيرة وفرضت عقوبات رادعة على لكل من يعتدى على حرمة الأموال فقررت قطع يد السارق فقال الله تعالى : «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم » المائدة (٣٨)

وشدد الاسلام فى تنفيذ حد السرقة حتى لا يتلاعب الناس ويسطو بعضهم على بعض ويأخذ أحدهم حق الآخر . عن عائشة رضى الله عنها : « إن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت فقالوا : من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ومن يجترىء عليه إلا أسامة حب رسول الله فكلمه أسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتشفع فى حد من حدود الله ؟ ثم قام فخطب فقال : أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم إنهم

كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله : لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) .. (رواه مسلم) .

ويشدد الإسلام فى الوعيد لمن يغصب حق امرىء مسلم أو يقتطعه فيقول صلوات الله وسلامه عليه : (من غصب شبرا من أرض طوقه الله تعالى من سبع أرضين يوم القيامة) ويقول صلوات الله وسلامه عليه :

« من اقتطع مال امرىء مسلم بغير حق لقى الله عز وجل وهو عليه غضبان » رواه أحمد .

وفى حال الاعتداء على المال أجاز الاسلام للمالك أن يدفع عن ماله كل معتد حماية لحرمة المال ، وحفاظاً على الملكية الفردية مهما كلفه ذلك . وفى الحديث : « من قتل دون ماله فهو شهيد » . رواه البخارى .

وقد أعلن رب العزة سبحانه وتعالى خصومته ووعيده لمن يأكل حق إنسان أو عامل أو أجير أو لا يعطيه أجره كاملا ، قال ﷺ :

(قال الله عز وجل : ثلاث أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره) رواه البخارى .

وحماية للملكية وحفاظا على حرمة المال ، حرم الاسلام الغش فى الكيل والميزان فقال تعالى : « ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون » . (المطففين (١ — ٢) .

وحرم الاسلام الربا . والقرض بفائدة حتى لا يظلم الناس بعضهم بعضا ، قال سبحانه : « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون (٢٨٨ — ٢٧٩) .

وتوعد الله سبحانه أولئك الذين يكنزون المال ولا ينفقونه في سبيل الله توعدهم بعذاب أليم فقال سبحانه « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » التوبة (٣٤ — ٣٥).

وهذا الوعيد لهؤلاء لأنهم أكلوا حق الفقراء والمحتاجين وكنزوا المال واحتكروه ، فهم بالتالى لم يحفظوا له حرمة ، ولم يصونوا للمحتاجين حقا هذا وإن الاعتداء على حرمة الأموال بأية صورة من الصور أو أية حيلة من الحيل ظلم كبير ، وإثم لا يتحلل منه ولا تقبل من صاحبه توبة إلا برد الحق إلى صاحبه ، ومهما يكن صالحا أو تضحيته عظيمة ، فإن كل أعماله في ضياع .

أمن المعاملات فى الإسلام

كثير من النظم الدولية الحديثة أقرت الأحكام التى وصل إليها مفكروها واستحدثت القوانين التى وصل إليها فكرها البشرى المحدود ومعظم تلك النظم والقوانين كانت تستهدف إستتباب الأمن . توفير الرخاء وطمأنينة الأفراد والجماعات على حقوقهم .

ولكن المجتمعات البشرية ما فتئت تعانى من الظلم وتعانى من شبح الخوف الرهيب الذى راح يطاردها فى مجالات عديدة من حقوقها المشروعة .

وزنحت تلك النظم والقوانين أمام عصابات متباينة : منهم من استطاع أن يفلت من القانون فلم يقع تحت طائلة العقاب .

ومنهم من استطاع أن يتحايل عليه ببعض من الدهاء والمراوغة .

ومنهم من أمن عاقبته لما له من جاه ونفوذ فلم يعر هذه النظم ولا تلك القوانين بالا .

وعاش الضعفاء كما هم مهضومين الحقوق . . وعاش المظلومين كما هم لا يملكون قليلا ولا كثيراً فلم تستطع القوانين البشرية أن ترد لهم حقاً مسلوبا ولا مالا منهوباً !! والسبب من الوضوح بمكان بحيث لا يخفى على إنسان عاقل فلم تتوفر هذه النظم أو تلك القوانين من الضمانات ما يكفل لها السلامة والاستمرار ولأنها ليس لها من القداسة والوازع الدينى مثل ما للأحكام الشرعية .

فقد توافرت — فى الشريعة الإسلامية ضمانات عديدة لسلامة التعاقد وصيانة حقوق الإنسان . . والحفاظ على الديون والأعمال والتجارة .

المؤجلة والحاضرة والتعامل مع المقيمين أو المسافرين كل ذلك استوفاه الإسلام .. ونادى بتنظيم العلاقات التجارية والمعاملات المالية .

فإن تلك المعاملات أو الديون أو التجارة : إما أن تكون مؤجلة وإما أن تكون حاضرة .

والمتعاملون : إما أن يكونوا مقيمين وإما أن يكونوا مسافرين .

• فأما الجانب الأول من المعاملات : وهو ما كان إلى أجل مسمى فقد قرر الإسلام له (مبدأ الكتابة) وجعله مفروضا بالنص . كما اشترط فيمن يقوم بتحقيق هذا المبــــدأ وهو الكتابة أن يكون عادلا وألا يكون أحد المتعاقدين بل لابد أن يكون شخصاً آخر ليكون منصفا ومحايداً وبعيداً عن الميول الشخصية أو الأهواء والأغراض .

وهذا التكليف والاشتراط إنما هو من الله سبحانه وتعالى قرره حفاظاً على الحقوق وصيانة لها من الضياع .

وكما قرر الإسلام مبدأ الكتابة فإنه وضح كيفيتها فجعل على المدين وهو الذى عليه الحق أن يملى اعترافا بالدين من جهة وبمقداره وشرطه من جهة أخرى وذلك حتى لايسع ظلم عليه إذا ما أملى الدائن فمال إلى مصلحته فيرضخ له المدين لحاجته أنئذ .

وفى نفس الوقت يأمر الله تعالى بأن يتق ربه وألا يبخس صاحب الحق حقه .

ولكن قد يكون المدين ليس أهلا لهذا فما الحل ؟ هنا يقرر الإسلام بأن يقوم القيم بهذه المهمة وعليه أن يلزم العدل والحيطة والدقة حتى لا يفرط فى شيء من الحقوق لأنها لا تخصه

ثم مع الكتابة كمبدأ من مبادىء الضمانات لسلامة التعاقد يقرر الإسلام الشهادة وأن الشاهدين لا بد وأن يكون كل منهما عدلا ولا بد وأن يرضى الطرفان بالشاهدين .. فإن لم يتيسر وجود رجلين للشهادة فليشهد رجل وامرأتان وإنما كانت امرأتان فى مقابل رجل لقلة خبرة النساء فى مجال التعاقد ولأن طبيعة المرأة الانفعالية قد تقلل من شهادتها فتنسى وتضل فكانت امرأتان للشهادة حتى إذا نسيت إحداهما ذكرتها الأخرى .

ويحذر الإسلام الجماعة الإسلامية إذا ما طلب من أحد منهم الشهادة أن يأبى لأن فى الاباء وعدم الإدلاء بالشهادة ضياعا للحقوق بين الناس .

كما يؤكد أمر الكتابة سواء كان الدين صغيراً أو كبيراً إحقاقاً للحق ونشراً للعدل فى المجتمع الإسلامى .

هذا كله موجود فى كتاب الله تعالى ونادى القرآن الكريم به وذلك فى قول الله سبحانه .

(يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجـــل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً فإن كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونوا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا) . سورة البقرة : ٢٨٢ .

هذا ما يتعلق بالجانب الأول من المعـاملات وهو ما كان إلى أجل مسمى .

• وأما ما يتعلق بالجانب الثانى من المعاملات : وهو التجارة الحاضرة فقد استثنيت من شرط الكتابة فلا جناح إذا لم يكتبوا ولكن فيها الشهادة .

ومن أجل ترسيخ دعائم الحق وحتى لا يجار على الكتاب الذين يكتبون الحقوق أو على الشهداء الذين يشهدون فقد وصى القرآن الكريم بهم إذ أنهم معرضون — من أحد الطرفين — ممن لم تروقه الكتابة أو الشهادة ،

فقد يعتدى عليهم أحد الطرفين حين لا توافق الكتابة أو الشهادة هواه وعندئذ قد يقع ظلم عليهم أو إعتداء . . فيوصى الإسلام بهم ويرسى لهم حقوقا مشروعة على المجتمع الإسلامى . كما قرر عليهم واجبات من قبل فى إحقاق الحق واستتباب العدل والأمن فقال تعالى :

(ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شىء عليم) .

• وهناك ناحية أخرى : قد يكون المتعاقدان فيها على سفر ولم يجدا كاتبا وحينئذ يكفل الإسلام الحقوق ويضع الضمانات وذلك بمشروعية الرهن فيأخذ الدائن الرهن ضماناً لحقه . وكما أن الدين أمانة فى عنق المدين فإن الرهن — أيضاً — أمانة فى عنق الدائن قال تعالى :

(وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى أؤتمن أمانته وليتق الله ربه) .

كما ينهى الإسلام عن كتمان الشهادة حتى لا تضيع الحقوق . قال تعالى :

(ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم) .

وهكذا نرى عناية الإسلام بسلامة التعاقد وإرساء الضمانات الكافية حفاظاً على حقوق الإنسان فى المجتمع الإسلامى وصيانة للمعاملات المالية والعلاقات الإنسانية .

حماية المعاملات المـالية من الشبهات

لقد حرم الإسلام كل نوع من المعاملات فيه أكل لأموال الناس بالباطل ، أو هضم لحقوقهم ، حفاظاً على حقوق الناس ، وصيانة المعاملات من أن تتسرب إليها دواعى الظلم والقسوة ، التى تتنافى مع روح الرحمة والتعاون ، التى جاء بها الإسلام ، وحث أتباعه عليها فى العديد من المواقف والتعاليم ، وأن أنواع الظلم والاعتداء على أموال الناس وحقوقهم لتأخذ صوراً كثيرة وأشكالا مختلفة .

فمنها السرقة والغش وتطفيف الكيل والميزان ، ومنها ما يأخذ صورة إستغلال حاجة الإنسان كالربا ، أو صورة استغلال النفوذ كالرشوة ومنها غير ذلك من المعاملات التى تتسم بالباطل ، والاعتداء على حقوق الناس ، وظلمهم ، وقد جاء النهى عاما لكل ما فيه أكل لأموال الناس بالباطل فقال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما ، ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه ناراً وكان ذلك على الله يسيرا) النساء (٢٩ ، ٣٠) .

أما الربا فهو تعامل بعيد عن روح الإسلام ، بعيد عن كل مبدأ إنسانى ، بعيد عن العدل والأمانة والتعاون والتكافل ، إنه صورة من العدوان على حقوق الناس واستغلال حاجتهم لأكل أموالهم بغير حق .. فمن احتاج إلى قرض من أخيه فاستغل حاجته وزاد عليه فهو ربا ، والقاعدة فى ذلك (أن كل قرض جر نفعاً فهو ربا) .

وقد كان السلف رضوان الله عليهم يدركون خطر الربا وشدة تحريمه،

لدرجة أن الواحد منهم ، كان يتحرج من أن يستظل بظل شجرة المقترض أو حائطه ، وقد حارب الإسلام الربا وتوعد بالحرب آكليه ، قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله فإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لاتظلمون ولاتظلمون) . البقرة (٢٧٨ — ٢٧٩)

والذين يأكلون الربا ويحاورون فيه رغبة فى تحليل ماحرم الله ، فحالتهم كحالة المجنون الذى يتخبطه الشيطان من المس فهو يتخبط بجسمه غير مستقر ولا ثابت ، وهكذا حال من يتخبط فى تفكيره محاولا تحليل ماحرم الله ، ويحاول تحليل الربا ، لأن البيع حلال فقال إن البيع مثل الربا ، فأنكر الله تعالى هذا التخبط والاعتداء على حرمات الله ، وبين سبحانه أن المرابى إن لم ينته عن الربا ويكتفى برأس ماله فهو من أصحاب النار ، هذا مع ما يحول الله به بينه وبين ما يطمع فيه من الربا حيث يمحقه الله ويذهبه ، على عكس ما يكون فى المال الذى يخرج المسلم منه الزكاة والصدقة حيث يبارك الله فيه بالزيادة والنماء والخير ، عن هذا كله يحدثنا القرآن الكريم :

(الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا : إنما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع وحرم الربا ، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ماسلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لايحب كل كفار أثيم) البقرة (٢٧٥) .

ومن أنواع أكل الأموال بالباطل « الرشوة » وهى ما يدفع لصاحب جاه أو منصب أو قاض أو عامل من أجل الحكم له أو لإنجاز عمله أو تأخير غيره وهكذا فقد حرم الإسلام مصانعة الناس واشتراء ذمة أحد . . (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً

من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون) البقرة (١٨٨) . وفى الحديث : « لعن الله الراشى والمرتشى فى الحكم » رواه أحمد والترمذى ، وحرمها الإسلام بالنسبة للعمال ومايدفع إليهم فى صورة هدية وهى فى الحقيقة رشوة مقنعة عن أبى حميد الساعدى أنه قال : إستعمل النبى ﷺ رجلا من الأزد يقال له : ابن اللتبيه على الصدقه فلما قدم قال : هذا لكم وهذا أهدى إلى ، قال : فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإنى أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله فيأتى فيقول هذا لكم وهذا هدية أهديت لى ، أفلا جلس فى بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً ؟ والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حله إلا لقى الله يحمله يوم القيامة فلا أعرفن أحداً منكم لقى الله يحمل بعيراً له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ، ثم رفع يديه حتى رئى بياض إبطيه يقول : « اللهم قد بلغت » رواه الشيخان .

وحرم الإسلام الرشوة فى أى شكل كانت وبأية صورة من الصور المقنعة ، ويرى الإسلام قاعدة لمن استعمل على أى عمل من الأعمال وأعطى راتباً على مايقوم به . فما أخذه بعد ذلك فهو خيانة وضرب من من الرشوة قال ﷺ . « من استعملناه على عمل ورزقناه رزقا فماأخذه بعد ذلك فهو غلول » رواه أبو داود ، ولعن رسول الله ﷺ «الراشى والمرتشى والرائش » رواه أحمد .

ولقد وعى السلف خطورة الرشوة فى كل أشكالها وصورها فامتنعوا عن كل ما فيه شبهة ، فعندما بعث رسول الله صلى عليه وسلم عبد الله ابن رواحة إلى اليهود ليقدر ما عليهم من الخراج فعرضوا عليه بعض المال ، فقال لهم : « فأما ما عرضتم من الرشوة فإنها سحت وإنا لا نأكلها» رواه مالك .

وهكذا نرى أن الإسلام قد صان حقوق الناس وحافظ على أموالهم وحرم كل ما فيه أكل لأموال الناس بالباطل فحرم الربا وحرم الرشوة كما حرم الغش وتطفيف الكيل والميزان ، والسرقة ، والغصب والاحتكار والتلاعب بالأسعار والاستغلال وغير ذلك مما هو حرام أو فيه شبهة ، حتى تستقر المعاملات وتنتظم ، ويحيا الناس آمنين على أموالهم وحقوقهم

صيانة الحقوق فى الإسلام

لا توجد فى أنظمة البشر ولا قوانين الأحياء على ظهر الأرض من مفكرين وباحثين نظام كفل الحقوق ، وصان أموال الناس ودماءهم وأعراضهم كما صانها الإسلام وحافظ عليها .

وكم تعددت نظم إقتصادية، وتنوعت مبادىء وأشكال، وظهرت مذاهب وأفكار وتدارسها الناس ، وبحثها الباحثون وناقشها المفكرون ، وما من مذهب من تلك المذاهب إلا والاعتراضات عليه واردة إن لم يكن متعثرا أو مرفوضا .

وما من نظرية من تلك النظريات فى القديم إلا وظهر فى الحياة الحديثة قصورها ، وما من نظرية من النظريات الحديثة إلا وظهرت نظرية أخرى تناقضها وهكذا .

ومن هنا كان السائرون على تلك المذاهب الحديثة ، أو الآخذون بهذه النظريات متأرجحة مذاهبهم ، ومهزوزة حياتهم الاقتصادية ، ومعاملاتهم المعاشية .

وما من جماعة أو أمة أخذت بنظام الإسلام الاقتصادى إلا وكانت ثابتة الخطى مطمئنة الحياة ، تمضى بمبادئها المطمئنة لا تناقض ولا اختلاف ولا تعترى حياتهم هــــزة إقتصادية من تلك الهزات التى قد تطيح بالنظرية برمتها .

والسبب فى ذلك واضح كل الوضوح، إذ أن الاقتصاد فى ظل الإسلام قائم على أسس أصيلة .. ومحكوم بقوانين إلهية لا يعتورها شك ولا خطأ ، ولا تناقض ولا تضارب .

إنه يقوم على تحصيل المال من الطريق الحلال من البيع والشركة والوكالة والمضاربة والمساقات والزراعة والإجارة وإحياء الموات والهبة والعطية ، والهدية والوصية الخ .

كما وجه الإسلام أتباعه إلى العمل والسعى والكسب، وأمر باستصلاح الأراضى ، واستخراج مافيها من كنوز وخيرات ، وأمر بالسير والنظر فى الأرض .

فقد سخر الله لعباده الشمس والقمر ، والليل والنهار ، وأنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وهيأ الله لكل كائن حى رزقه ، من طعام وشراب ومن غذاء وكساء .

ومن أسرار القدرة الإلهية الفائقة ما أودعه الخالق المقتدر سبحانه وتعالى داخل الأرض ، وفى أعماق التربة الأرضية من غذاء للنبات . . يستمد غذاءه ونماءه منها ، وما بعثه فى الجو من شمس وهواء وما يرسله من ماء ، ولكل ذلك أثره البالغ فى إمداد النبات بالغذاء والنماء

ثم ما هيأه الله سبحانه وتعالى فى النبات من غذاء الإنسان والحيوان .

ولقد وجه الله تعالى الانسانية إلى ما وهبها من نعمة ، وأمر الانسان بالنظر إلى أصل طعامه ، وكيف مر بمراحل عديدة ، قال تعالى :

(فلينظر الانسان إلى طعامه إنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة ، وأبا متاعاً لكم ولأنعامكم) سورة عبس (٢١ — ٣٣) .

وهذا الكون الفسيح بما فيه من سماوات وأرض ، ومن ثمرات ونبات وبحار وأنهار وشمس وقمر كل ذلك نعم وافرة أسبغها ، يا أسبغ غيرها على الناس ظاهرة وباطنة . .

قال الله تعالى :

(الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان لظلوم كفار) سورة إبراهيم (٣٢ — ٣٤) .

وفى سبيل حماية الاقتصاد والحفاظ على الحقوق المالية للناس قرر الاسلام عقوبة قطع اليد بالنسبة للسارق :

(والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم) المائدة (١٣٨) .

كما هدد الاسلام وتوعد الغاصبين لحقوق الغير يقول رسول الله ﷺ : « من غصب شبراً من أرض طوقه الله تعالى من سبع أرضين يوم القيامة »

وحماية للحقوق المالية للانسان ، وصوناً للاقتصاد فى كل صوره وفى شتى وسائله ، دعا الاسلام إلى العمل ووضح أن خير ما يأكله الانسان هو ما كان من كسب يده .

قال رسول الله ﷺ « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وأن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده» .

وقال ﷺ للعامل الذى ورمت يده من آثار عمله وكده : « تلك اليد يحبها الله ورسوله » .

أما عن حق العامل وأجره ، فإن نظرة الاسلام إليه نظرة قوية ومؤكدة ، فقد دعا إلى الوفاء بحق كل عامل وأنذر الله أصحاب العمل الذين يجودون

على العاملين أو يظلمونهم أنذرهم الله تعالى بخصومته لهم وبحربه .

ففيما رواه الإمام البخارى ، يقول رسول الله ﷺ :

« قال الله عز وجل: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ورجل إستأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره » .

ولم يكتف الإسلام فى هذا الصدد بحفظ حق العامل وعدم الجور أو التعسف لحقه ، وإنما دعا إلى سرعة إعطائه حقه فى الحديث : « أعطوا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه » .

فللجهود الانسانية فى ميزان العـــدل الالهى منزلتها وكرامتها وحقها الأكيد الذى لايصح العدوان عليه ، أو إهماله بحال من الأحوال أيا كان نوع تلك الجهود يدوية كانت أو ذهنية أو غير ذلك .

هذا ، والمتصفح لآيات الكتاب العزيز ، ولأحاديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وإلى كتب الفقه الاسلامى سيرى إلى أى مدى صان الاسلام الحقوق ، وأحاطها بسياج منيع من الأمانة ، والحل ، وحذر من الخيانة والظلم ، والعدوان . لقد صانها بالنسبة للأفراد ، كما صانها بالنسبة للجماعات، وفصل المعاملات المالية وغير المالية . مايتعلق بالنقدين ومايتعلق بثمرات الأرض ، وما يتعلق بالنبات والحيوان .

وأبواب الفقه الاسلامى مفصلة وواضحة بالنسبة لكل صيغة من صيغ التعامل .

ولقد أحل الله البيع وحرم الربا ... وأمرنا بالأمانة ، وحرم الخيانة وشرع الخيار بين المتبايعين .

وفى الفقه الاسلامى : السلم والقرض والرهن ، والضمان ، والكفالة والحوالة ، والصلح ، والحجر ، والوكالة والشركة والمضاربة والمساقاة والمزارعة والاجارة ، والعارية ، وحكم الغصب والشفعة والوديعة ، وإحياء الموات ، والجعالة واللقطة ، والوقف والهبة والعطية ، والهدية ، والوصايا والفرائض .. فما معنى هذه الأنواع ؟

أليست تشريعات إلهية، ومبادىء وقوانين أخذت مكانها فى ديننا صيانة للاقتصاد الاسلامى ، وحفاظاً على حق كل صاحب حق .. فأين تلك التشريعات من القوانين البشرية والنظريات الحديثة القابلة للخطأ والصواب إنه الإسلام الذى كفل لكل فرد حقه فى الحياة .

دعوة الإسلام إلى أمن النفس البشرية

فى التربية الإسلامية علاج أصيل ثابت ، وعلاج آخر مباشر يطلب من الإنسان المسلم أن يصحبه . كلما استفز موقف يثير مثل هذه الآفات والرذائل .. وأساس هذه الآفات ـ هو الغضب .

أما العلاج الأصيل الثابت ـ فهو مطلوب قبل أن تبرز تلك الآفات والإنسان المسلم ، مطالب باستحضار هذا العلاج ، واستمراره وتمثل مقتضياته . .

والعلاج الأصيل هو التحلى بمكارم الأخلاق ومقاومة ما فى النفس من أسباب الغضب .

فعلاج كل علة ، إنما يكون بحسم مادتها ، وإزالة أسبابها . والأسباب التى تحمل الإنسان على الغضب كثيرة جماعها ـ الأخلاق السيئة ، والعادات المذمومة ، التى يجب على المسلم أن يتحاشاها وأن يبتعد عنها ، منها ـ الغرور والزهو ، فالإنسان المغرور أو المزهو بنفسه ، يرى نفسه فوق الناس ، ويحمله زهوه على التحامل على الناس والنيل منهم ، بسبب أبسط الأمور . ومن ذلك المماراة والمزاح والهزل ، وشدة الحرص على المال والجاه ، وغير ذلك من الأسباب .

وكثير من الناس يسمى الغضب شجاعة ورجوله ، وعزة نفس وكرامة ومحافظة على الشخصية ، وهذا خطأ فاحش يحاول به البعض تبرير غضبهم ، إذ أن الإنسان بطبيعته البشرية ، حين يتجاهل حقيقة نفسه ويتغاضى عن عيوبه ، لايحاول أن ينظر إلى أخطائه ، ولايحاول أن يفكر فيها إلا بالقدر

الذى ينتصر فيه لنفسه أو الذى يأخذ فيه أكبر قسط من دوافعه النفسية مهما كانت خطأ .

وربما لو تريث فى شأنه ، وتمهل فى تفكيره، وراجع نفسه يحس بالخطأ ويستشعر نتيجة سرعته وعجلته وغضبه وهذا يحدث لدى كثير من الناس .

وأما النوع الثانى لعلاج النفس البشرية من الغضب، فهو العلاج المباشر الذى يكون بعد هيجان الغضب وحدوثه ـ فذلك بتدبر مادعا إليه الإسلام من التخلق بالتسامح والرفق وكظم الغيظ . . بالخوف من مؤاخذة الله وعقوبته .. وبالحذر من عاقبة العداوة ، ونهاية الإنتقام .. ومحاولة التفكر فيما يدعوه إلى الانتقام فيمنعه ويكظم غيظه إلى غير ذلك من الأمور .

وفى الإسلام أسمى الطرق التربوية وأنجحها فى علاج النفس البشرية ، وإطفاء جذوة الغضب التى تشتعل فيها .

وكان للاسلام بذلك فضل السبق على سائر الطرق التربوية الحديثة .

إنه يدعو إلى تغير الموقف الذى عليه الإنسان ، والحال التى اشتعل الغضب معها فيغيرها ، ويريح أعصابه ، ويهيؤها للهدوء والسكينة وللحلم والطمأنينة ، فإذا كان قائما فليجلس فإذا لم يذهب غضبه فعليه أن يضطجع عن أبى ذر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال .

(إذا غضب أحـــدكم وهو قائم فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع) رواه أبو داود .

وإذا كان هذا النوع من العلاج تغييرا ، للموقف ، وإعطاء الجسم والأعضاء قسطاً من الهدوء والسكينة ، والراحة والطمأنينة ، فان هناك نوعا آخر ترشد إليه السنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

عن أبي وائل القاص قال: دخلنا على عروة بن محمد السعدى فكلمه رجل فأغضبه ، فقام فتوضأ فقال : حدثنى أبى عن جدى عطية رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

(إن الغضب من الشيطان، وأن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ) رواه أبو داود .

* وأما النوع الثالث من العلاج فذلك بالبعد عن الشيطان ومحاولة التخلص من هواجسه ، ونزغاته ، وبالتوجه إلى الله تعالى والاستعاذة به من الشيطان .

عن سليمان بن صرد رضى الله عنه قال : أستب رجلان عند النبي ﷺ فجعل أحدهما يغضب ويحمر وجهه . وتنتفخ أوداجه فنظر إليه النبي ﷺ فقال : — انى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ذا . — أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

فقام إلى الرجل رجل ممن سمع النبي ﷺ فقال : هل تدرى ما قاله رسول الله ﷺ أنفا ؟ قال : لا ، قال . أنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ذا .. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

فقال له الرجل : أمجنونا ترانى ؟ رواه البخارى ومسلم .

والناس فى — غضبهم — يتفاوتون وليسوا سواء فى سرعة الغضب أو بطئه ، وإنما منهم من يكون سريع الغضب سريع الرجوع ، ومنهم من يكون بطيئا فى غضبه سريعاً فى رجوعه ، وهكذا ..

وخير الناس من كان بطىء الغضب سريع الفىء . وشر الناس من كان سريع الغضب بطىء الفىء .

ويوضح أنواع الناس حيال الغضب .. الحديث الشريف الآتى :

« ألا إن بنى آدم خلقوا على طبقات ، ألا وإن منهم البطىء الغضب السريع الفىء . ومنهم سريع الغضب سريع الفىء . فتلك بتلك ألا وإن منهم سريع الغضب بطىء الفىء ألا وخيرهم بطىء الغضب سريع الفىء . ألا وأن الغضب جمرة فى قلب ابن آدم، أما رأيتم حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فمن أحس بشىء من ذلك فليلصق بالأرض». رواه الترمذى وقال حديث حسن

إن الغضب سبب كل شر، وأداة كل ظلم وعدوان، والتغلب على نزعات النفس ، ونزعات الشيطان ، بتملك النفس، والبعد عن الغضب أكبر علاج للنفس البشرية ، ولذا نجد نصيحة الرسول ﷺ به كثيرة ومؤكدة .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال للنبى ﷺ أوصنى ، قال : لا تغضب ـ فردد مرارا ، قال : لا تغضب ـ رواه البخارى .

أنها نصيحة موجزة ، وعبارة مختصرة ، ولكنها فى غاية القوة والبلاغة لأنها تحذر من آفة الآفات ، ومن سبب كل انفعال وشر ، وهو أن الغضب يجمع الشر كله ، حين يفكر الإنسان فيه ، وفيما ينتج عنه .

عن حميد بن عبد الرحمن ، عن رجل من أصحاب النبى ﷺ قال :

قال رجل يارسول الله أوصنى قال : لا تغضب قال ففكرت حين قال رسول الله ﷺ ما قال ، فإذا الغضب يجمع الشر كله . رواه أحمد .

ان منع الغضب ، وكظم الغيظ، من سمات المتقين، الذين يتأدبون بأدب الإسلام . قال تعالى : (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) .

ان مجالس الغضب والانفعال هى مراتع الشيطان ، وأن مجالس العفو والتسامح ، والحلم والسكينة هى مقاعد الخير كله ، ولقد وعى سلفنا خطورة

الغضب . وأدركوا آثار التسامح والصبر والحلم ، فكانوا أمثلة طيبة فى كل سلوك خير كريم .

وكان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يوجههم بين كل آونة وأخرى بالأدب الرفيع ، والقيم المثلى . عن ابن المسيب رضى الله عنه قال : بينما رسول الله ﷺ جالس ، ومعه أصحابه ، وقع رجل بأبى بكر رضى الله عنه ، فأذاه ، فصمت عنه أبو بكر ، ثم أذاه ثانية فصمت عنه أبو بكر ، ثم أذاه الثالثة فانتصر أبو بكر ، فقام رسول الله ﷺ ، فقال أبو بكر رضى الله عنه أوجدت على يارسول الله ؟

فقال رسول الله ﷺ : نزل ملك من السماء يكذبه بما قال لك ، فلما انتصرت ذهب الملك وقعد الشيطان . رواه أبو داود .

هكذا عالج الإسلام النفس البشرية مما يقربها من الآفات والرذائل وقربها وهذبها إلى طريق الخير والرشاد والسؤدد . ومن ضعف نفس ، مبعثه الضعف ، إن الإنسان المسلم يجب أن يكون صورة حية للمثل النبيلة ، والقيم الفاضلة ، وأن يكون بمنأى عن تلك الآفات والشرور ، التى تمزق أواصر الأخوة وتقطع وشائج الود بين الناس .

وباتباع هذه التعاليم العالية يرتقى الأفراد والجماعات إلى مستوى من الحياة الإنسانية الفاضلة .

التربية الإسلامية أمن للنفس البشرية

النفس البشرية لها دوافعها وغرائزها ، وميولها ونزعاتها .. وهي بحكم طبيعتها تنزع إلى ما تطمح إليه ، وتتطلع إلى ما لم تصل إليه متمنية الوصول إليه ، وتحقيق ما تصبوا إليه من آمال .

بيد أن بعض ما تهفوا إليه ، قد يكون بعيداً عنها ، وليس لها فيه من نصيب .. أو أن يكون الله تعالى قد وهب نفوسا غيرها قدرات خاصة ومواهب معينة ، تتحقق معها هذه الآمال ولا تتحقق مع تلك النفس وعندئذ يكون التعلق بما عند الناس .. أو محاولة محاكاتهم والوصول إلى ماوصلوا إليه يكون ضربا من التعب النفسي الذى لاطائل وراءه إلا مايورثه من الأحقاد والمتاعب .

ولهذا كان التوجيه القرآني إلى عدم التمني لما فضل الله به بعض الناس على بعض ، قال الله تعالى : (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما) سورة النساء ٣٢ .

وقد نزلت هذه الآية الكريمة — كما روى الإمام أحمد — عندما سألت أم سلمة رسول الله ﷺ ، وقالت : يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو . ولنا نصف الميراث ، فأنزل الله : (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض)

إن التمني لا يجدى شيئاً ، بل قد يجر من المفاسد والأحقاد ما لا تحمد عقباه . .

وأن الله سبحانه وتعالى ، يحب من عباده أن يقبلوا عليه وأن يسألوه ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : (سلوا الله من فضله ، فإن الله يحب أن يسأل وأن أفضل العبادة إنتظار الفرج) رواه الترمذى .

وقال السدى فى الآية : أن رجالا قالوا : إنا نريد أن يكون لنا من الأجر الضعف على أجر النساء ، كما لنا فى السهام سهمان وقالت النساء : إنا نريد أن يكون لنا مثل أجر الشهداء ، فإنا لا نستطيع أن نقاتل . ولو كتب علينا القتال لقاتلنا . فأبى الله ذلك . ولكن قال لهم سلونى من فضلى ، قال ليس بعرض الدنيا .

وقد يتطلع بعض النـــــاس إلى من فضل عليه فى الرزق أو فى الخلق وهو تطلع لا جدوى فيه ، لأن واهب ذلك هو الله سبحانه وتعالى و ليس الإنسان أن يجلب لنفسه شيئاً من ذلك .

ولكن علاج مثل هذه الحالة النفسية ، يكون بالتطلع إلى من هو أسفل من الإنسان وأقل .

عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال : (إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه فى المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه من فضل عليه) رواه البخارى .

هذا هو العلاج الناجع للنفس البشرية وتطلعاتها التى لا طائل تحتها ، والتى لاتورث إلا الحسرة والندم فى القلوب .

أن رسول الله ﷺ يعلم أمته ويوجهها التوجيه السديد الذى به ترضى وتقنع ، ولاتتعب وتنصب . ولاتتحسر وتندم .

فعلى الإنسان المسلم أن ينظر بعين الاعتبار إلى النعم الإلهية المحيطة

بالإنسان ، وأن ينظر فى نفس الوقت إلى ما فضل هو به على غيره ، لا إلى ما فضل غيره به عليه .

فإذا نظر الإنسان مثلا إلى من فضل عليه فى المال والخلق بأن نظر إلى إنسان غنى بينما هو فقير . أو نظر إلى إنسان أغنى منه أو من كان أفضل منه فى الخلق . كالصورة والمنظر والشكل أو فى الخلق كالأبناء مثلا ، فالحديث يحتمل المعنيين، فيحتمل أن يدخل فى ذلك الأولاد والأتباع وكل ما يتعلق بزينة الحياة الدنيا .

فقد يكون لإنسان كثير من الأولاد ، ولغيره القليل .. فينظر إلى من هو أقل منه . وقد ينظر من عنده الذرية أناثاً فحسب إلى من عنده الذكور من الأبناء .. فلينظر إلى من كان عقيماً لا ذكور له ولا إناث ، فإنه حينئذ يرى أن نفسه أكثر من غيره .

وقد ينظر الإنسان العقيم إلى من له ذرية ، فيورث ذلك فى نفسه الحقد أو الحسرة والندم . ولكنه حين ينظر إلى غيره ممن هو أقل منه بأن يكون لا مال له ولا ولد .. يرى أنه أحسن حالا من غيره .

وقد ينظر من لا مال له ولا ولد إلى من فضل عليه . . فيورث ذلك الحسرة فى نفسه. ولكن حين ينظر إلى غيره ممن لا مال له ولا ولد ولا عافية ولا صحة يرى أنه أحسن حالا من ذلك لأنه يتمتع بعافية وصحة ، وهى نعمة كبيرة . وهكذا إذا نظر الإنسان إلى من هو أعلى منه وأفضل عليه تعب وتحسر . وإذا نظر إلى من هو دونه وأقل منه استراح وشكر ربه ، فلا ينتقص نعمة من نعم الله .

وفى رواية الإمام مسلم مايوضح السبب والعلة فى النظر إلى من هو

أسفل منه وأقل (فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم) أى هو حقيق بعدم الازدراء .

وقال ابن بطال : هذا الحديث جامع لمعانى الخير ، لأن المرء لا يكون بحال تتعلق بالدين من عبادة ربه مجتهداً فيها ، إلا وجد من هو فوقه فمتى طلبت نفسه اللحاق به إستقصر حاله ، فيكون أبداً فى زيادة تقربه من ربه . ولا يكون على حال خسيسة من الدنيا .. إلا وجد أهلها من هو أخس حالاً منه ، فإذا تفكر فى ذلك علم أن نعمة الله وصلت اليه دون كثير ممن فضل عليه بذلك من غير أمر أوجبه ، فيلزم نفسه الشكر . فيعظم اغتباطه بذلك فى سعادة .

وقال بعض العلماء : فى هذا الحديث دواء الداء ، لأن الشخص اذا نظر الى من هو فوقه لم يأمن أن يؤثر ذلك فيه حسداً ، ودواءوه أن ينظر الى من هو أسفل منه . ليكون ذلك داعياً الى الشكر .

ومما تجدر الاشارة اليه أن التوجيه النبوى الوارد فى الحديث وهو النظر الى من هو أسفل من الانسان ، انما هو مخصوص فى أمور الحياة الدنيا . وليس عاما فى أمور الدين والعبادات والطاعات وصنائع المعروف ، فتلك الأمور يستحب أن ينظر الانسان فيها الى من هو أكثر منه ليزداد طاعةلله وعبادة وتقربا .

ففى أمور الطاعة والعبادة تشرع القدوة والأسوة والتنافس فى الطاعة محمود ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .

وفيما رواه البخارى — بسنده — عن عبد الله بن مسعود قال : قال النبى ﷺ :

(لا حسد إلا فى اثنين رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها) .

وقد وقع فى نسخة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رفعه قال :

(خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرا صابرا من نظر فى دنياه إلى من هو دونه ، فحمد الله على ما فضله به عليه . ومن نظر فى دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به) .

وأما الذى ينظر إلى من هو فوقه فى دنياه فيأسف ويتحسر ويندم على ما فاته ، فإنه لا يكتب شاكرا ولا صابرا . وبمثل هذه التربية الرشيدة السديدة ، أخذ الإسلام أتباعه . وعلم رسول الله أصحابه فتخرج من الرعيل الأول نماذج عالية فى الشكر والصبر ، وفى عزة النفس وقوتها .. وأن التربية الإسلامية للنفس البشرية ، تأخذ بها إلى مراقى الفلاح والسداد والرشد .

وأن فى البعد عن التربية الإسلامية ضياع للنفس فى متاهات الحياة الدنيا دون جدوى .

أما تربية الإسلام للأفراد والجماعات ، فإنها تأخذ بأيديهم إلى حياة الرضا والطمأنينة . والراحة والسكينة وفى ظلها يستشعر الإنسان المسلم نعم الله عليه ، فيؤدى شكرها .. فيزيده الله عليها من فضله وإحسانه وبره ، كما قال الله تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد) .

وجاء رجل إلى يونس بن عبيد فشكى إليه ضيقا ، فقال له يونس : أيسرك ببصرك هذا الذى تبصر به مائة ألف . قال : لا ، قال : فسمعك الذى تسمع به يسرك به مائة ألف . قال : لا ، قال: فؤادك الذى تعقل به . قال : لا ، قال : فيداك يسرك بهما مائة ألف . قال : لا ، قال : فرجلاك . قال : لا ، قال : فذكره نعم الله تعالى عليه ثم أقبل عليه فقال : أرى لك مئين ألوفا وأنت تشكو الحاجة .

وتمشياً مع الهدى الإلهي ، وسيراً على طريق التربية الإسلامية الأصيلة يعلن الإنسان المسلم إيمانه بما أوجبه الله ورضاه بما قسمه ، وشكره على نعمه مردداً ما قاله الرسول صلوات الله وسلامه عليه :

(اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لاشريك لك فلك الحمد ولك الشكر) . رواه أبو داود .

محافظة الإسلام على حرمة الأعراض

الإسلام دين الطهر والعفاف، صان الأعراض كما صان الأنفس والأموال ودعا إلى حمايتها والدفاع عنها .. وأكد الإسلام حرمات المسلمين وفى الحديث : « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » .

وحماية للأعراض ، وصيانة لها ، كفل الإسلام لها حقوقا شرعية تتسق وفق ما أحله الله من علاقات نقية طاهرة تتميز بالثبوت والاستقرار وتحكم بحقوق وواجبات تشرق فى ظلها المودة والرحمة وتنبثق من خلالها المشاعر الإنسانية الوفية والمعاملات النظيفة الراقية ونفى الإسلام عن المجتمع الاسلامى كل رذيلة من الرذائل وميز عباده ووصفهم بصفات تتفق مع عقيدتهم الصحيحة وإيمانهم الصادق . وبين أنهم موحدون لا يدعون مع الله إلها آخر ومحافظون على حرمة الأنفس فلا يقتلون ومحافظون على الأعراض فلا يزنون إلى غير ذلك من الصفات .

قال الله تعالى : (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهانا إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما) .

وحرم الاسلام الاقتراب من الزنا ، ذلك لأنه من الكبائر والفواحش قال الله تعالى : « ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا » الإسراء (٣٢) .

الاعتــداء على الاعراض :

وجريمة الاعتداء على الأعراض من أخطر الجرائم وأكبر الكبائر

إذا تفشت فى بيئة نشرت التحلل والاباحية وولدت أخطر الأمراض بين مرتكبيها ، وأدت إلى غيرها من الجرائم كما أن فيها إهدار لمـــاء الحياء ولمادتها فى غير موضعها المشروع وطريقها الحلال .

كما ينشأ عن هذه الجريمة تشرد وضياع لمن جاء من الأبناء عن طريقها واختلاط للأنساب وفقدان للحياة العزيزة الطيبة النظيفة المحترمة .

وهذه الجريمة المنكرة تعتبر من أشد الآفات الاجتماعية خطورة فيما يتصل بالناحية الأخلاقية والناحية الاجتماعية ، ففيها محاربة للحياة الزوجية السليمة ومحاربة للعفة والفضيلة وعزوف عن الزواج وهى ظاهرة تحللية وفعلة شنعاء لا تظهر إلا فى البيئة البعيدة عن روح الاسلام والتى لا تخشى الله وعذابه وهى أكثر ما تكون مصاحبة لظاهرة العزوف عن الزواج وذلك لأن البعض حين يرى قضاء شهوته بهذه الوسيلة يستهين بشأن الزواج ويرى فيه من الأعباء والمسئوليات ما يمكن أن ينأى بنفسه عنها ويريح حياته منها .

وبتلك النظرة الهابطة الرخيصة تصغر الأسر وتقل وتضعف وتتفكك ويضعف أبناؤها جسمياً وعقلياً وخلقياً .

ولما كان الزنا والاعتداء على الأعراض له خطورته وله نتائجه السيئة التى تودى بالأفراد والأسر ، وتهدم كيان البيوت وتقوض دعائم الحياة ، شرع الاسلام عقوبته القاسية لتكون أكبر رادع ومانع من الوقوع فى هذه الجريمة فالزانى المحصن : يقتل رجما بالحجارة والبكر يجلد مائة جلدة .. وتنزل به هذه العقوبة الرادعة على مرأى ومسمع من الناس ليكون فى ذلك أشد الوسائل الرادعة وليكون عبرة لغيره ممن تسول له نفسه ارتكاب مثل هذه الجريمة البشعة .

وينهى الله تعالى عن أن تكون هناك رأفة أو عطف على انسان حين

تنزل به العقوبة حتى لا تتعطل الحدود أو يخفف الحد . قال الله تعالى : (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) النور (٢)

ومن الجرائم التى ترتكب اعتداء على الأعراض (القذف) فمن قذف رجلا محصنا أو امرأة محصنة واتهم أحدهما بارتكاب جريمة الزنا ولم يقم البينة والدليل المطلوب شرعا فإنه يجلد ثمانين جلدة وتسقط شهادته وهما عقوبتان إثنتان لا عقوبة واحدة فالأولى : وهى الجلد عقوبة مادية توقع على جسده ، والثانية : وهى إسقاط شهادته عقوبه معنوية أدبية توقع على كرامته وتظل دائمة . قال تعالى : (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون) . (النور ٤) .

وللقاذف من الوعيد الشديد ما يستحقه مما قرره الإسلام فى الكتاب والسنة فالذين يقذفون المحصنات الغافلات يرتكبون أكبر الكبائر وتحل عليهم لعنة الله فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم . . يقول الله تعالى : (إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين) (النور ٢٣ - ٢٥) .

وقال سبحانه وتعالى : (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون) (النور ١٩).

وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات من السبع الموبقات التى نهى عنها الإسلام وحذر منها الرسول صلوات الله وسلامه عليه وأمر المسلمين باجتنابها .

عن أبي هريرة رضى الله عنه : عن النبي ﷺ قال : (اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : يا رسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات : المؤمنات الغافلات) رواه البخارى .

المحصنات : اسم مفعول ، أى التى أحصنهن الله وحفظهن عن الزنا والمراد بهن العفيفات وأما (الغافلات) فالمراد بهن الغافلات عن الفواحش وما قذفن به .

وفيما رواه ابن أبي حاتم . عن عائشة رضى الله عنها - أن النبي ﷺ قال لأصحابه أتدرون أربى الربا عند الله ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال فإن أربى الربا عند الله استحلال عرض امرىء مسلم) ثم قرأ رسول الله ﷺ (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا) الأحزاب (٥٨) .

ومن الذنوب التى تمثل اعتداء صارخا على حرمات الناس وأعراضهم (السخرية) و (اللمز) و (التنابز بالألقاب) و (سوء الظن) و (التجسس) و (الغيبة) و (النميمة) وقد نهى الله تعالى عن هذه الأمور كلها ، وحذر منها ، ونادى المؤمنين أن يحذروها ناداهم بوصف الإيمان الذى يتنافى مع تلك الآفات ولا يستقيم مع تلك الرذائل فقال سبحانه :

(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الإسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ، يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم) (١١ - ١٢ سورة الحجرات) .

فلا يجوز لإنسان أن يسخر من إنسان ولا يحل له أن يستهزىء بأخيه أو يسخر منه لآفة فى بدنه أو نحافة فى بعض أعضائه أو قلة ماله أو غير ذلك من الأمور وقد روى أن عبد الله بن مسعود انكشفت ساقه وكانت دقيقة هزيلة ، فضحك منها الحاضرون فقال النبى ﷺ :

« أتضحكون من دقة ساقيه ، والذى نفسى بيده لها أثقل فى الميزان من جبل أحد » رواه مسلم .

وتأكيدا لحرمة الأعراض ، والحفاظ على كرامة الإنسان وعدم الاعتداء عليه بالتجسس أو التطلع إلى أسراره أو بيته جاء فى الحديث المتفق عليه : (من اطلع فى بيت قوم بغير اذنهم فقد حل لهم أن يفقئوا عينه ، وقال صلوات الله وسلامه عليه : (يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رحله) . رواه الترمذى .

الوحدة في الاسلام طريق للأمن العالمي

الوحدة آثارها وفاعليتها ومنزلتها وقوتها ، فهي من أهم ركائز التضامن الاسلامي الذي تنشده الأقطار الاسلامية عبر التاريخ ، فيوم أن يتحد العالم الاسلامي في مشارق الأرض ومغاربها تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، يوم أن تنعم المجتمعات والشعوب بالأمن والاستقرار وبالسعادة والرفاهية ، فلا يتهددها عدو ولا يحدق بها خطر ، ولا يتآمر عليها الباطل مهما كان مدججا بالأسلحة ولا يتسرب إلى حماها غزو فكري ، ولا تيار من التيارات المادية ولا تحلل خلق ، وذلك لأن الوحدة سياج منيع يصون حماها من كل دخيل ، ويحفظ عليها أمنها واستقرارها .

بل ولا خوف على غيرها من الأمم لأن لديها من إيمانها ما يقرر العدل في الأرض ويحقق السلام والإصلاح ويشيع في جوانب الحياة كل معروف ويطهرها من كل منكر ويومها يفيء الناس في ظلال الإيمان أحبة آمنين . قال الله تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

ويقرر القرآن الكريم أن أهل الإيمان والحق حين يمكن الله لهم في الأرض ينصرون دين الله ويرفعون راية العدل الالهي . ويقيمون شعائر الدين وأحكامه ويؤدون الأمانة الالهية على أكمل وجه أمراً بالمعروف ونهيا عن المنكر قال الله تعالى : (الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) .

وقد أكد الله تعالى روح هذه الوحدة وجوهر هذا التضامن الإسلامي في حب بين المؤمنين وموالاة ورغبة في الخير والإصلاح فقال : « والمؤمنون

والمؤمنات بعضهم أوليـــاء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم » .

والوحدة أساس كل خير فى دنيا الناس وآخرتهم والفرقة أخطر الآفات التى تقضى على سعادة المجتمعات والشعوب وترديهم فى مهاوى التهلكة وتجرهم إلى وحل المعصية ، وتظل تفرقهم شيعا حتى تجعلهم ينفصلون عن الدين قال تعالى : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يعملون » .

بل إن العلم نفسه وهو من أهم دعائم الأمم ، ولكنه حين لا تتمحض فيه النية لله تعالى ، ويخلو من روح الإخلاص تتسرب إلى ميدانه آفات ورذائل فتميل به يمنة أو يسرة فتكون النتيجة هى الاختلاف من جراء البغى والحسد والعناد والتعصب .

فدعوة الوحدة إذا لابد لهـا من فكر صاف مستنير لا تشوبه آفات الفرقة والاختلاف ولذا نجد القرآن الكريم ينبه إلى هذا الخطر الداهم من جراء البغى والعصبية .

ويدعو إلى أساس الوحدة الأصيلة القـــائمة على أساس من التوحيد الخالص والتمسك بهذا الدين الحنيف قال سبحانه : « إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب » .

أســـاس الوحـــدة :

وكما بين الله أن أساس الفرقة والاختلاف يكون من التعصب والبغى والحسد والعناد وما إلى ذلك فقد بين أساس الوحدة التى يدعو إليها

الاسلام . وذلك هو الدين والاعتصام بحبل الله ففى ذلك القوة والخير والسعد والفوز فى الدنيا والآخرة .

ولطالما تعثرت خطى البشرية بأشواك الحياة الجافة القاسية واضطربت فى جو ملبد خانق فبينما كانت تعانى من ظلام دامس ، واضطراب فى شتى نواحى الحياة ، كانت وطأة الصراع المادى وكان بطش القوى بالضعيف ، وتطاول الغنى على الفقير حتى جاء الاسلام بظلاله الوارفة وقوانينه العادلة وكتابه الحق ورسوله البشير النذير الذى أخـــــرج الناس من الظلمات إلى النور فهدى الناس من ضلالة ووحدهم من فرقة وخلصهم من أثقال وأغلال وهداهم إلى صراط مستقيم . .

يقول الله تعالى : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من إتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » .

لقد دعم الإسلام أواصر الوحدة وذكر الناس بفضل الله عليهم بكل ذلك ، وحذر المؤمنين أن يطيعوا دعاة الفرقة والاختلاف . وذكرهم ما كان عليه الأوس والخزرج قديما حين دبت العداوة فى صفوفهم وأشبت بينهم الحروب المتطاولة حتى جاء الاسلام فأطفأ نار الفتنة وأخمد شرها وجمعهم على كلمة الحق وألف بينهم رسول الله ﷺ وتدعيما لأصول تلك الوحدة وترسيخاً لبنائها كلف الله تعالى هذه الأمة بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إنتصاراً للدين وإقامة لوحدته ودفعاً لآفات الشر والفساد التى تثار حول حماه أو ترتكب فى الوطن الإسلامى .

ويضرب القرآن الكريم المثل بمن قبلنا حين اختلفوا بعد أن جاءتهم البينات فكان لهم الوعيد الشديد .

عن تلك الملاح كلها تحدث القرآن الكريم حديثاً شافياً هادياً للتى هى أقوم .

فقال الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا أن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم . يأيها الذين آمنوا إتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون . ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم » آل عمران ١٠٢ — ١٠٥ .

وقد وجه الرسول ﷺ أمته إلى أساس الوحدة وهو الاعتصام بحبل الله . عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال » . رواه مسلم .

وهكذا حمل لنا الحديث التحذير من الفرقة والاختلاف ، ولا تفرقوا ، وجاء هذا النهى بعد الأمر بالاعتصام بحبل الله لبيان أن من إعتصم بحبل الله فهو بعيد عن التنازع ، بعيد عن التفرقة أما الاعراض عنه والتماس الاعتصام بغيره ففيه الضلال .

ومن التمس الهدى فى غيره أضله الله وقد أشار القرآن الكريم إلى تأكيد

هذا المعنى فى قوله تعالى : « وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين » .

وقال تعالى : « وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون » .

التشريع الإسلامى والوحدة

والناظر إلى التشريع المحكم يجده قد دعا المسلمين إلى الوحدة من طريق عملى وتطبيق كما دعاها فى نداءاته ووصاياه من خلال الهدى القرآنى والسنة المشرفة لقد طبق الرسول صلوات الله وسلامه عليه معالم التضامن الإسلامى ووحد بين المسلمين فى أول أساس من أسس المجتمع الإسلامى قبل وبعد الهجرة حيث آخى بين المهاجرين والأنصار وأبرم وثيقة هذا التضامن فى صورة من الوحدة والأخوة والتعاون بشكل لا تعرف الدنيا مثيلا له . وأرسى الرسول ﷺ دستور الحياة الذى تلتق عنده الأمة الإسلامية وتجتمع عليه ، ويصبح كل المؤمنين كالجسد الواحد يقول صلوات الله وسلامه عليه : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا إشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد » ومسلم .

وتمضى تشريعات الاسلام فى غرس أصول الوحدة وتقوية روح التضامن بين المسلمين فى الصلاة وفى الصوم وفى الزكاة وفى الحج فصلاة الجماعة لها من المثوبة والأجر مايزيد على صلاة المنفرد بسبع وعشرين درجة أو خمس وعشرين درجة وفى صلاة الجمعة إجتماع أسبوعى كبير وفى صلاة العيدين إجتماع أكبر فى كل عام ، ثم فى فريضة الحج إجتماع أكبر لأعظم عدد ممكن من مختلف الأقطار الاسلامية والبلاد من شتى الألوان والأجناس .

وفى فريضة الصيام غرس لمعانى الوحدة فى وقت واحد يمسك المسلمون عن الطعام والشراب. وفى وقت واحد يفطرون ، وفى الزكاة تكافل إجتماعى وتراحم وتواد بين الغنى والفقير وتقريب بين الناس وتوحيد بين المشاعر على الحب والألفة والتعاون .

وإلى جانب دعوة الاسلام إلى الوحدة فإنه يوجه المسلمين إلى التضافر وإلى التعاون والنصرة ويحذرهم من أسباب التخاذل والتهاون . قال ﷺ : ما من إمرىء يخذل إمرءا مسلما فى موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله فى موضع يحب فيه نصرته وما من إمرىء ينصر مسلما فى موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله فى موطن يحب فيه نصرته ، رواه أبو داود .

وحماية لأبعاد هذه الوحدة ناهض الاسلام أولئك المرجفين المثبطين الذين يخرجون على الطاعة ويفارقون الجماعة فيقول صلوات الله وسلامه عليه : « من خرج على الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية » رواه البخارى .

ويعلن الرسول صلوات الله وسلامه عليه بعده وبراءته من كل من يضرب صفوف الأمة ولا يفى بعهده . فيقول صلوات الله وسلامه عليه : « من خرج على أمتى يضرب برها وفاجرها لا يتحاشى من مؤمنها ولا يفى بعهد ذى عهدها فليس منى ولست منه » رواه مسلم .

هذا وأن من خالف الرسول ﷺ فيما جاء به واتبع غير ما عليه المؤمنون من العقيدة الصحيحة والعمل الصالح يدعه الله ويتخلى عنه ويوليه ما تولى ذلك فى دنياه وأما فى آخرته فيصليه جهنم وساءت مصيرا . قال الله تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » .

ولقد داب الاستعمار والصهيونية والغزو الصليبي على سياسة التفرق ومحاولة تمزيق الوحدة لأن في الوحدة تهديداً وخطراً على وجود هذا المستعمر وعلى وجود الصهيونية ولنا في تاريخنا العبرة التي مازالت ملء السمع والبصر كيف استطاع أعداء الوحدة الإسلامية تمزيق تكتل الأمة وتضامنها ثم كان السطو والنهب فيهم بعد ذلك .

وإذا كان الأساس الذى تقوم عليه الوحدة الاعتصام بحبـــل الله والانضواء تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله فإن الله سبحانه يبين أن قيام هذه الوحدة هو الذى يتسق من الخلقة التى خلق الله الإنسان عليها فالناس جميعاً أمة واحدة وإن إختلفت أجناسهم وألوانهم وينتهون إلى نهاية واحدة بلقاء ربهم وإن إختلفوا ثوابا وعقابا قال الله تعالى : « يأيها الناس إتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا » .

وقيام هذه الوحدة هو الذى يتسق — أيضا — مع الفطرة الإلهية الواحدة وهى التى فطر الله تعالى جميع الناس عليها « لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » وفيما رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ مامن مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة جمعاء — أى تامة الأعضاء — هل تحسون فيها من جدعا ؟ أى مقطوعة الأذن أو الأنف أو الأطراف - ثم يقول أبو هريرة رضى الله عنه : « فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » وبهذا يتبين لنا أن جميع أنساب الناس وأجناسهم تنتمى إلى أصل واحد ، وهنا تبرز أهمية التعارف وضرورة اتصال الناس بعضهم ببعض .. قال تعالى : « يأيها

الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

ويعمق الاسلام مفهوم الوحدة بأقوى رباط ينبغي ألا ينساه أحد ذلك هو رباط العقيدة الصحيحة التي ينتظم تحت لوائها كل المؤمنين مهما تباعدت الأقطار . واختلفت الأشكال ورباط الانتماء إلى أب واحد وإلى أم واحدة . قال ﷺ : « أيها الناس إن ربكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى » . رواه أحمد في سننه .

عقبات في طريق الوحدة :

واليوم إذ ننظر للمجتمعات البشرية فنرى الكثير منها يعج بتيارات مختلفة تتبع غير سبيل المؤمنين من وجودية وشيوعية ، وماسونية ، وقديانية ، وبهائية وما إلى ذلك .. ونتيجة لتلك التيارات وعاقبة من يتبعها قد بينتها الآية الكريمة : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » . وكل هذه التيارات وما تنفثه من سموم فكرية ومؤامرات وأباطيل وماتدفع به من موجات تحللية في المحيط الإسلامي ، بغياً وعدواناً وتخطيطاً منظماً على مدى بعيد لاضعاف شوكة المسلمين ومحاولة فصلهم عن بعض ليتحقق هدف الاستعمار وأمنية أعداء الاسلام .

فكيف إذا نواجه تلك التيارات وننتصر عليها .. وفي إيجاز حكيم يجيبنا القرآن الكريم على هذا بأن نستجيب لله وللرسول ، ونسير على هدى الكتاب والسنة وأن نتقي الوقوع في الفتن .

إنهما جانبان : الأول عملي تطبيقي : يتمثل في الاجابة لله وللرسول إذا دعانا لما يحيينا .

والثانى وقائى : وهو أن نتقى الوقوع فى الفتن ونصون الفرد والجماعة والأمم والشعوب من الوقوع فيها أو الانحراف فى تياراتها . وحتى يكون لدينا يقين مطلق بنتيجة ذلك ضرب القرآن الكريم لنا المثل واضحاً وبين الطريق إلى القوة بعد الضعف والكثرة بعد القلة والأمن بعد الخوف والنصر الكامل الشامل والرخاء والرزق الواسع فقال الله تعالى :(يأيها الذين آمنوا إستجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب وأذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون » الأنفال ٢٤ – ٢٦ . ووضح القرآن الكريم أن إئتلاف قلوب المؤمنين ووحدتهم من أساليب النصر التى أيد الله بها رسوله عليه الصلاة والسلام هذا الائتلاف الذى أصبحوا به يداً واحدة وقضى على ما كان بينهم فى الجاهلية من التعصب والتنافر وربط القرآن الكريم سر هذه الوحدة والألفة بالعقيدة الصحيحة والإيمان العميق بالله ، وبعزو هذا التأليف بين القلوب إلى الله تعالى فهو حسبه مهما مكر الأعداء أو حاولوا الخداع فالله من ورائهم محيط .

هذا هو القانون الآلهى الذى لا يتخلف بالنسبة للسلف وبالنسبة لمن بعدهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قال سبحانه .. وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بين قلوبهم، إنه عزيز حكيم » .

الأمن الاجتماعى فى الإسلام

وطريقة : التكافل

عنى الإسلام بالقيم الرفيعة والنظريات الرائدة التى تصوغ الحياة فى قالب من التواد والتعاطف ، وتوحد بين طاقات المسلمين فى إطار من التكافل الاجتماعى .

ولطالما ارتقت الحياة إلى أوج عزتها وكرامتها ، بفضل نظم الإسلام العميقة ونظراته الحانية التى ترسمت الحياة معالمها وسارت فى ظلها ناضرة باهرة . فنهضت من كبوتها وصحت من غفوتها تتنسم عبير الرحمة والإنسانية والتعاون والإيثار ، بعد أن تعثرت خطاها على صخور الظلمة العاتية فى جو مبلد خانق ، تسوده البغضاء والقسوة والتنابز والأثرة . فلما جاء الإسلام نشر على البشرية ظلال العدل الوارفة وأشاع فى دنيا الناس روح الإخاء والأمن والرحمة .

وجمع الناس على قاعدة الإيمان الواحدة كأسرة واحدة ينتمون إلى أصل واحد ، لا غنى لأحدهم عن الآخر .

وفى الجو الإسلامى العاطر وعلى أرض الإيمان الخصبة الرحيبة ترعرعت أنبل الفضائل وأزكى السجايا وأحس المسلم بحاجته إلى أخيه ، وحاجة أخيه إليه ، وانطلق كل إنسان يلبى نداء أخيه الإنسان ويشعر بشعوره بدافع الواجب حينا وبدافع الانسانية والمروءة أحيانا أخرى .

وتوالت نداءات الاسلام وتوجيهاته إلى تقوية الروح الجماعيه وبعث القوة فيها وتعهدها لإثراء الحياة الجماعية بالأمل والعمل وبالحب والولاء فيناديهم القرآن الكريم بصفتهم الجماعية كجماعة إسلامية بصفهم كجمع لا كأفراد .

فيقول سبحانه : « يأيها الذين آمنوا » .. ويقول جل شأنه « إنما المؤمنون إخوة » . وقال تعالى : « المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » .. وهكذا .

اسس التكافل :

ولقد أرسى الاسلام للتكافل الاجتماعى أصولا يقوم عليها ودعائم ينهض بها وحذر المسلمين من مخالفتها أو محاولة البناء على أسس تناقضها .

ومن هذه الأصول قاعدتان بهما سعادة البشرية دنيا وآخرة وهما البر والتقوى ، ويقابلهما ، الإثم والعدوان ، فأمر بالتعاون على البر والتقوى ونهى عن التعاون على الاثم والعدوان .

فقال سبحانه : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

وإذا كان مثل هذا التعاون أملا لسائر المعاملات والعلاقات ، فإن الاسلام فى دعوته للتكافل الاجتماعى أحرص ما يكون على ترسيخ تلك الأسس واستمرار إقامة الحياة عليها ، حتى فى القول والمناجاة بين المؤمنين فحذر من التناجى بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وأمر بالتناجى بالبر والتقوى . فقال تعالى : « يأيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى » .

وقد أرسى القرآن الكريم تلك الأصول الهامة التى تجمع البر والتقوى ، وفصل مضمون البر ومايستهدفه وما يحتويه من صحة العقيدة والتعاون فى المعاشرة . وتهذيب النفس الانسانية فى سائر المعاملات والعلاقات . قال تعالى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام

الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » البقرة (٧٧) .

فصحة العقيدة: تتمثل فى الايمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين . والتعاون فى المعاشرة : بإيتاء المال ــ مع حبه ــ لأصحاب الحقوق والمحتاجين ، وبتهذيب النفس فى سائر المعاملات والعلاقات بالصلاة والزكاة والوفاء بالعهد والصبر فى كل الأصول وفى أوقات الشدائد وعند لقاء العدو ولقد جردت الآية الكريمة البر من المفهوم الشكلى ، الذى تبادر عند البعض .

كما صحح القرآن أيضاً مفهوم البر من معنى شكلى آخر ذلك أن بعض الناس كانوا إذا أحرموا لم يدخلوا البيوت من أبوابها بل من نقب وفرجة وراء البيت ويعدون ذلك براً فبين الله لهم أن ذلك ليس ببر وإنما البر أن يتقى المسلم المحارم والشهوات . قال سبحانه : « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من إتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

وقد وجه الله تعالى عباده إلى طريق البر الذى هو كمال الخير وبه ينالون بر الله ورحمته ورضاه وجنته وذلك ببذل ما يحبه الانسان من المال والنفس والجاه فقال تعالى « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شىء فإن الله به عليم » .

وأما الاثم فقد بين الرسول ﷺ بينه وبين البر ووضح كلا منهما بحيث يدركهما الانسان من نفسه وذلك فى قوله : « البر حسن الخلق والاثم ماحاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس » وفيما رواه الامام أحمد ــ بسنده ــ عن وابصة ــ قال : أتيت رسول الله ﷺ فقال : « جئت تسأل عن البر والاثم قلت : نعم : قال : استفت قلبك البر ما اطمأنت إليه النفس

واطمأن إليه القلب ، والاثم ماحاك فى النفس وتردد فى الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك » .

وإذا كان البر هو حسن الخلق وضده الاثم ، فما النتائج المترتبة على البر والتقوى أو على حسن الخلق ؟

نتـائج البر والتقوى :

إذا نظرنا إلى البر الذى بدأ القرآن التعريف به بقول الله سبحانه « ولكن البر من آمن بالله . . » وختم التعريف بقوله تعالى : « أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » ووضحت السنة مدلوله فى « حسن الخلق » إذا نظرنا إلى كل ذلك فإننا نجد نتائج عظيمة فى الدنيا والآخرة . فالصدق مثلا من حسن الخلق الذى يندرج فى البر ونتيجته فى الدنيا الطمأنينة طمأنينة الصادق إلى عمله ومعاملته مع الناس وطمأنينة الناس إليه ، وثقتهم فيه كما فى الحديث ». فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة » .

. والعفو مثلا من البر أو حسن الخلق ومن نتائجه فى الدنيا ما أخبر عنه القرآن الكريم « إدفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » . وأما فى الآخرة فيقول الرسول ﷺ « إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم» وسئل النبى ﷺ عن أكثر مايدخل الناس الجنة؟ فقال : تقوى الله وحسن الخلق .

مجـالات التـكافل :

وللتكافل الاجتماعى مجالات عديدة فمنها ما يكون بين الفرد ونفسه ومنها ما يكون بينه وبين أسرته وبينه وبين جيرانه ومنها ما يكون بينه وبين أخلائه ورفقائه فى العمل أو بينه وبين المجتمع أو بين المجتمعات بعضها مع بعض وبين الأمم والشعوب .

أما بالنسبة لأول مجال للتكافل وهو ما يكون بين الفرد ونفسه فذلك بأن يأخذ الفرد حقوقه المشروعة دون إفراط أو تفريط قال تعالى : (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) وقال سبحانه : (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) وأن يعمل بما فيه الصلاح والنجاة لنفسه فلا يوردها موارد الضياع ولا يلقى بها إلى التهلكة كما قال الله سبحانه : (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) .

وبهذا نرى أن الإسلام قد هيأ للفرد ما يكفل مطالبه المادية وحظوظه الدنيوية من الحلال بالأكل والشرب فى غير إسراف . كما هيأ له ما فيه نجاة نفسه ووقايتها بحيث لا يعرضها للهلاك . كذلك هيأ الإسلام للانسان ما فيه سعادته الأخروية ونجاته من عذاب الله حيث وضح لكل نفس طريق الفجور لتتحاشاه وطريق التقوى لتهتدى بهداه فقال : (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها) .

وأما المجال الثانى : وهو ما يتصل بالأسرة فقد وصى الله بالوالدين بعد الأمر بعبادته وحده فقال : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا) .

وكما وصى الإسلام برعاية الزوجة والأبناء وذوى الأرحام بصفة عامة فقال : (واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام) . وقال تعالى : (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله) . وفى الحديث يقول الله تعالى : « أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى من وصلها وصلته ومن قطعها بتته » أى قطعته .

ومن التكافل فى مجال الأسرة ما شرعه الاسلام من الارث كما فى قوله

تعالى : (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك) الآيات . وقد شرع الإسلام فى مجال التكافل الأسرة — الوصية فيما لا يتعدى الثلث بعد وفاء الدين — ولا تكون تلك الوصية توارثا حتى لا يستحوذ على حقين فيجمع بين الميراث والوصية ، ولذا قال ﷺ : « لا وصيه لوارث » ولكن الوصية لبعض من ينتمى للانسان بصلة قرابة ولم يكن وارثا للانفاق والتعاون على الخير ، أو لبعض وجوه البر والمعروف هكذا تكون الوصية وقد أثار الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلى موارد جوانب تكافل الأسرة وقيام المسلم بحق والديه وأبنائه ونفسه فيما رواه الطبرانى : مر على النبى ﷺ رجل فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلده ونشاطه ، فقالوا يا رسول الله : لو كان هذا فى سبيل الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله . وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى رياء فهو فى سبيل الشيطان » .

والمجال الثالث للتكافل الاجتماعى ما يكون بين الجيران . قال تعالى : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا) . وقال ﷺ :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » . وحذر الرسول ﷺ من إيذاء الجار لأن الايذاء يتنافى مع الايمان فقال ﷺ : « والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن ، قيل : من يا رسول الله ؟ قال : الذى لا يأمن جاره بوائقه » .

والمجال الرابع للتكافل ما يكون بين الأخلاء ورفقاء العمل من التعاون

على الخير والتحلي بمكارم الأخلاق فلا يجهل أحد على أخيه ولا ينتقص منه ولا يعيره بذنب ولا يغتابه . ولا يحاول الوقيعة بينه وبين إخوانه ، ولا يخذله ولا يظلمه ولا يحاول أن يمنع عنه الخير بل يكون متعاونا معه على الخير لا على الشر ، قال تعالى : (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) وكذلك يجب أن تسود روح التعاون والمحبة بين القرناء ورفقاء العمل وذلك أمر من الأهمية بمكان بحيث يجب التنبيه إليه لانجاز العمل وتوحيد الصفوف فكثيراً مايحدث بين القرناء من الجفوة والاختلاف نتيجة التنافس الشديد فإنه حين يزيد عن حده ينقلب إلى ضده بل على المسلم أن يكون طيب المقصد حسن التعاون مع أخيه لا يذكره بشر ، بل يرد عن عرضه ، يقول الرسول ﷺ : « من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة » . رواه أبو داود .

والمجال الخامس من مجالات التكافل الاجتماعي هو ما يتصل بالمجتمع الاسلامي وعلى الفرد واجبات تجاه المجتمع تتمثل في أدائه لعمله فلا يكون عاطلا بلا عمل وأن يخلص في عمله وإن الله رقيب .

قال تعالى : (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) .

وقال ﷺ : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » وحرصا من الاسلام على استمرار عمارة الحياة وازدهارها يوجه المسلمين إلى كل ما فيه خير للمجتمع مهما كانت الأحوال ، يقول الرسول ﷺ « إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها » وسئل أحد السلف حين كان يزرع نخلة . فقيل له : أتزرع هـذا وأنت شيخ كبير ؟ فأجاب قائلا : زرع من قبلنا وأكلنا ونحن نزرع ليأكل من بعدنا ، كما تتمثل واجبات الفرد تجاه المجتمع على حرصه على سلامته وأمنه ، وزيادة الخير فيه وللفرد لدى المجتمع حقوق

تتمثل فى رعايته وحمايته وصيانة مصالحه ، فإذا كان ضعيفا وجب على المجتمع مساعدته وإذا كان محتاجا وجب على المجتمع إعانته .

قال تعالى : « وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان » . وقال ﷺ : « الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار » رواه الشيخان والترمذى :

ومن أجل نهوض المجتمع الاسلامى على أساس متين تنتفى فيه المظالم ولا يكون هناك أضرار بالناس حرم الاسلام اكتناز الأموال وحرم سائر المعاملات الربوية ، ودعا إلى سائر صور التعاون والتكافل بين الناس حتى يصبح المجتمع آمنا مستقراً . وروى الامام مسلم بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : بينما نحن فى سفر مع النبى ﷺ إذ جاء رجل على راحلة له ، فجال بصره يمينا وشمالا ، فقال رسول الله ﷺ : « من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لازاد له » .

فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل .

ومن أجل المحافظة على حقوق الفرد ، لأنه جزء من المجتمع وفى سلامة الافراد سلامة المجتمع كانت الحدود حماية وصيانة وردعا عن كل ما يهدد أمن النفس والعرض والمال فشرع القصاص فى القتل والرجم أو الجلد فى الزنا ، وقطع اليد فى السرقة وهكذا كل ذلك حماية للفرد وصيانة للمجتمع وأمنه ، واستقراره .

وأما بالنسبة للمجال السادس والاخير وهو الذى يتمثل فى تكافل المجتمعات والامم بالصورة العامة الموسعة . فذلك هو نداء القرآن الكريم

الذى دعا إليه وحث عليه . قال تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) .

بل إن المجالات السابقة للتكافل هى بمثابة الدرجات التى يصعد عليها أفراد المجتمع ليكونوا جسداً واحداً لا فرق بين إنسان وآخر فالحقوق مكفولة والواجبات مؤداة والهدف واحد .

قال ﷺ : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » . متفق عليه .

مظاهر التكافل الاجتماعى :

وقد أخذ التكافل الاجتماعى فى الاسلام مظاهر عديدة منها الواجب ومنها المستحب أو المتطوع به ، فأما الواجب فيتمثل فى أداء الزكاة ففيها تطهير المال من الحق الذى وجب للمحتاج فيحرم على صاحب المال أن يأكله فيجور على مستحقه وفيها تطهير لنفس الغنى الذى يدفع الزكاة من آفة الشح والحرص على جمع المال واكتنازه وزيادته وفيها تطهير لنفس الفقير من الحقد على الغنى وصدق الله العظيم إذ يقول : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) .

وقد حدد القرآن مصارف الزكاة موضحا أهم مظاهر التكافل . فيها قال سبحانه : (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) ولم تقتصر مظاهر التكافل الواجبة على الزكاة وحدها بل هناك المصالح المرسلة والكفارات مثل كفارة اليمين بإطعام عشرة مساكين . وكفارة الصيد فى الاحرام بإطعام المساكين . وكفارة الظهار

بإطعام ستين مسكينا والإفطار فى رمضان لمرض أو شيخوخة لمن لا يستطيع القضاء بإطعام مسكين وهكذا .

كما شملت مظاهر التكافل زكاة الفطر . . وهناك من الأمور الأخرى المتطوع بها مثل : الوقف والوصية والعارية وغير ذلك من الأمور . ومن أروع تلك الصور وأسماها الإيثار الذى ضرب فيه سلفنا أروع الأمثلة التى خلدها القرآن الكريم . قال تعالى : (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون .

أمن الكلمة واللغة

لغة القرآن والسنة بين تخطيط الاعداء وجهاد أهل الغيرة

اللغة العربية منزلتها الرفيعة ومكانتها السامقة التى لا تطاولها مكانة بين لغات الدنيا وكيف لا ، وهى اللغة التى اختارها الحق تبارك وتعالى ، لكتابه المبين الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فقد جعل الله تعالى كتابه الكريم قرآنا عربيا محددا الحكمة فى ذلك وهى أن يكون واضح المعنى ، يعقله كل من يقرأ فيه ، أو يتدبر معانيه . قال سبحانه وتعالى مقسما بكتابه :

(حم ، والكتاب المبين إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ، وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم) .

وكما يصل القرآن بقارئه والمتدبر فيه ، إلى التذكر والتفهم والاعتبار ، فإنه يرقى بالانسان إلى الغاية المنشودة والفضيلة الأم وهى « التقوى » كما قال الله سبحانه وتعالى :

(ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون ، قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون) .

وإذا كان القرآن الكريم بلغته العربية المبينة وأسلوبه الالهى المشرق ودعوته إلى الحق والرشد قد أخذ بيد الانسان .

أولا : إلى الفهم والتعقل والإعتبار والتذكر ثم أخذ بيده .

ثانيا : إلى معرفة ربه وعبادته وإلى الايمان به وتقوى الله ، فإنه

ثالثا : يبشر السائرين على هديه العاملين به المطبقين لمبادئه ، وينذر الذين

حادوا عن دعوته وندوا عن منهجه فان آياته المفصلة الواضحة قد ميزت الحق من الباطل والخير من الشر والحلال من الحرام ، قال تعالى : (كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ، بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون) . فصلت : ٣ ، ٤ .

فواجب كل مسلم هو التمسك بلغة القرآن والتعرف عليها والتحدث بها ، ودراسة قواعدها وتعويد الالسنة النطق بها .

وإن اللغة العربية كما هي لغة القرآن الكريم فهي لغة الحديث النبوى الشريف الذى يمثل المصدر الثانى للتشريع الاسلامى بعد القرآن الكريم والرسول ﷺ قد أوتى جوامع الكلم وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى .

واللغة العربية كذلك هي لغة الادب العربى الرفيع والحكم الفاضلة ، إنها الوعاء النقى الذى نقل إلينا أشرف وأعظم تراث عرفته البشرية منذ وجودها إلى أن يرث الله الارض ومن عليها .

ومن أجل هذه المكانة العالية فان سلفنا قد أولوها كل عناية ورعاية بحثا وتأليفا وتدوينا وتعريفا بأصولها وقواعدها ومايتصل بها من دراسات دقيقة وعميقة بيد أن هذه الدراسات يجب أن تفتح عينيها جيداً على ما يحاك للغة القرآن وما يدبر لها من أعداء الاسلام من مخططات حاقدة ماكرة .

مخططات ضد لغة القرآن :

إن تلك المخططات حاولت من قبل تصويب سهامها نحو القرآن نفسه — فرد الله كيد الأعداء فى نحورهم . لأن الله سبحانه وتعالى هو الذى تكفل بحفظ كتابه الكريم . قال تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) .

فلما لم يجدوا أملا فى إقتحام حمى القرآن راحوا فى محاولات يائسة

وخططوا لاهثة حول السنة الشريفة ليحاولوا الدس أو التحريف وتلفيق بعض الدعاوى الباطلة والشبه الواهية التي لا أساس لها .

ولكن الله الذي تكفل بحفظ كتابه لم يكن ليدع سنة رسوله ﷺ وهي المبينة للقرآن فتصدى لهؤلاء الأعداء قديماً من أئمة الحديث وحفاظه من صانوا السنة من الدخيل وحفظوها من الترهات والأباطيل

فماذا بعد يصنعون ؟ إنهم نظروا إلى هذا التراث الإسلامي العريق وإلى هذا الدين القيم الخالد فوجدوا أنه من أقوى أسباب رفعة المسلمين وعزتهم فخططوا للابعاد عنه أو تفريغ المسلمين منه ذلك أنهم وجدوا هذا الوعاء الذي يحمل هذا التراث إنما يتمثل في اللغة العربية فعملوا جاهدين على القضاء على تلك اللغة ومن هنا إنطلقت الدعوات المغرضة المسفة تدعو إلى هجر اللغة العربية وإثارة بعض الدعاوى الباطلة التي تقول بأنها صعبة وعسيرة وأخرى تقول بأنها لا تستجيب لمتطلبات الحياة وهكذا

وإذا استوقفنا تلك الدعوات الباطلة وقلنا : وما السبيل إذاً ؟ فيكون الجواب : أن نستبدل بها اللغة العامية بلهجتها الدارجة !

وكلها كما نرى دعوات تطفح بالحقد على الإسلام وتراثه ولغته ولم يعد خافياً على أحد من الناطقين بهذه اللغة ولم يعد خافياً على المسلمين تلك المحاولات والحملات في غزوها الفكري أو تخطيطها العدواني .

وقد بقيت اللغة العربية بحمد الله حاملة أشرف تراث لم تنل منها ضربات أعدائها لأنها أرسخ قدما من أن تصاب بشيء وأعظم أثراً وأعز جنداً . إنها أغنى لغات الدنيا وأوفى بحاجات الحياة ومتطلباتها وهي التي حملت التراث الضخم العظيم قروناً متطاولة لم تتعثر لها خطوة ولم يخب لها بريق . إنها ثرية بألفاظها ومعانيها واشتقاقاتها تحتوي على كل ما هو حسي ومعنوي وهي

لسان حق وصوت صدق وهي بعلومها تمثل السياج المنيع والمعقل الحصين للإسلام وتعاليمه فالذود عن حماها جهاد في سبيل الحق وفي سبيل الكتاب والسنة .

خطر الدعوة الى العامية :

ودعاة العامية — اليوم — إنما هم إمتداد لمن سبقوهم من حملة المعاول المتسلطة الذين أرادوا أن يدكوا قلاع هذا التاريخ الشامخ وأن يفصلوا تلك العرى الوثقى التي حملت اللغة العربية التعبير الحقيق لها وكانت اللسان المتجاوب في شتى الأقطار العربية والإسلامية والمترجم لآمال وآلام الإنسانية على مر أدوار تاريخها .

وإذا كانت الدعوة إلى العامية واستبدالها بالفصحى يعنى الخطر الداهم على الدعوه الإسلامية وهذا ما يطمح له الاستعمار والصليبية وما تستهدفه الصهيونية والشيوعية فإن هناك خطراً آخر يترتب على ذلك أيضا وهو فصم أهم روابط التضامن الإسلامى والوحدة بين البلاد الإسلامية ذلك لأن اللغة الفصحى إذا أهملت وحل محلها اللغة العامية سيتعذر التفاهم والتواصل وتنضب روافد العلم والفكر والأدب بين البلاد وفي هذا تذويب للشخصية وتخريب وتغريب .

وقد لعب المستشرقون دورا خطيرا في الدعوة إلى العامية ومحاولة تجميد الفصحى وانخدع ببريقهم الكثير ممن فتن بالمحاكاة ، ووقع فريسة التبعية والتقليد واتخذوا لذلك محاور مختلفة فرة يتجهون للأدب الأصيل وأخرى للقصيدة العربية العريقة التي تميزت بالوزن الرصين والقافية الثابتة فنادوا بالتحرر من الوزن والقافية وطفا على سطح الأدب المعاصر مايسمى بالشعر الحر وأخذ هذا اللون في الهبوط والإسفاف لدرجة تخلى فيها تماما عن المعاني النبيلة والقيم الرفيعة ، وراح الفكر يتحلل من الأدب نفسه متمردا على

اللغة وأصولها وأهدافها وتقنع بالألغاز والتمويه والاغراق فى الغموض إلا ما يظهره من معانى الخلاعة والمجون محاولا صياغته فى قالب براق ليستهوى الشباب ، وعشاق الكلمة النابضة الحية وهو فى داخله ينطوى على السم والضياع . إن مخططات أعداء الإسلام إذا تكشفت فى كل جوانبها وتصاعد منها هذا الدخان لتأخذ فى شكل ظالم متبجح لا ينبغى السكوت عليه من كل غيور على دينه وتراثه .

جهاد أهل الغيرة :

وليس معنى هذا أن أبناء الاسلام أو الناطقين بالضاد قد وقفوا مكتوفى الأيدى أمام ما يحاك لدينهم ولغتهم فإنهم وقفوا لأعدائهم بالمرصاد، ولطالما ردوا وجاهدوا فى هذا الميدان جهاداً كبيراً منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وإنا على الدرب سائرون .

إن جهادنا مستمر وكذلك جهاد ذوى الغيرة عليها .

وفى هذا إعلان للاقلام المشرعة فى وجه الباطل انها ثابتة على الحق قوية بالله معتزة بدينها ولغتها لا تأخذها فى الحق لومة لائم مستمرة فى مسيرة الجهاد المبرور .

وإنا لنأخذ على عاتقنا ونحن بين طلابنا أن تكون اللغة العربية هى وسيلة التخاطب والتدريس والتفاهم . ونبث روحها وتعبيرها والجهاد من أجلها فى سائر المجالات حفاظا على لغة القرآن الكريم وتعويدا للطلاب على النطق الصحيح بها والتفاهم على ضوئها .

ونحن إذ نحمل تلك الأمانة لنؤديها خير الأداء فى ذلك تدعيم وتقوية للنهوض بها وصد كل الحملات الطائشة الظالمة التى تبيت لها . إن هذه المهمة التى يقوم بها كل مدرس أو أستاذ بين تلاميذه وكل داعية بين قومه

إنما تمثل تجنيد الطاقات، وتجميعها فى إطار واحد لمجابهة عدو لدود .

وبدون هذا التدعيم وغيره من الوسائل الأخرى لا يمكن مناهضة تلك الموجات السافرة التى تحاول إجتياح اللغة وآدابها متسربة إلى أصول تراثنا العريق . . كما يجب العناية بمناهج اللغة فى كل مراحل التعليم فى سائر البلاد الإسلامية والتركيز على تربية الأجيال على أساس الكتاب والسنة وفهم أصول الإسلام وتعاليمه ولا يتأتى ذلك إلا عن طريق اللغة ورعايتها فإن اللحن فى اللغة العربية يترتب عليه ضياع المعنى وعدم فهمه. ولقد كانت اللغة العربية إلى جانب مهمتها العالية ورسالتها الشريفة فى حمل تراث الإسلام وترابط الأمة الإسلامية على وحدة كبرى تجمع سائر الأقطار فى إطار واحد ، إلى جانب هذا كانت تمثل سلاحاً قوياً — فى صدر الإسلام يرد كيد الأعداء وينافح عن دعوة الحق بالقصيدة العربية الفصيحة والشعر العربى الأصيل ، فإذا ما حاول أعداء الإسلام النيل منه عن طريق اللسان بعد السنان كان على المسلمين أن يجاهدون بمثل ما يحاربونهم به ، ولذا فإن القرآن الكريم عندما أبان شأن الغاوين والضالين ، من أعداء الإسلام ونفى عن القرآن كونه شعراً ونفى عن الرسول ﷺ كونه شاعراً إنما كان رداً لما يثار حول القرآن أنه شعر وحول الرسول من أنه شاعر وإن ذلك كله لا أساس له ، فقد قال الله تعالى : « وما علمناه الشعر وما ينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين » وحين بين القرآن شأن المضلين من الشعراء الذين حاربوا الدعوة الإسلامية وجعلوا شعرهم فى النسيب والغزل وتمزيق الأعراض والقدح فى الأنساب ، واستثنى الله تعالى شعراء الإسلام الذين حملوا لواء اللغة العربية وساروا بها نحو الحق . ودافعوا عن الإسلام ورسوله وعن الدعوة والمسلمين . وكان شعرهم آنئذ يمثل السلاح الذى لابد منه فى سبيله فى كل وقت ، قال الله تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ، وإنهم

يقولون مالا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » .

وهكذا إستثنى الله تعالى شعراء الإسلام وأشاد بأعمالهم المجيدة فى نصرة الاسلام وتأمين دعوته وكانت أشعارهم فى التوحيد والحث على طاعة الله ، والانتصاف ممن هجاهم من أعداء الاسلام وكان من شعراء الاسلام فى هذا المضمار « حسان بن ثابت » ، « وعبد الله بن رواحة » وغيرهما ممن نافحوا عن الاسلام ودافعوا عنه تحقيقاً لأمن العقيدة والكلمة فرضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

الرحمة أسلوب الأمن

وهي من أبرز ملامح الدعوة الاسلامية

إن من أبرز ملامح الدعوة الاسلامية « الرحمة » فهي جوهر الاسلام وهي من صفات الله سبحانه وتعالى : « الرحمن الرحيم » وبالرحمة نزل الدستور السماوي «وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين سورة الإسراء» (٨٢) ومن أجلها أرسل الرسول صلوات الله وسلامه عليه وفيها تركز هدف رسالته ومقصد دعوته قال الله تعالى « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » سورة الأنبياء (١٠٧) ، وهي السمة المميزة للمسلمين فيما بينهم فهم يتراحمون ، ويعطف بعضهم على بعض ويواسي كل منهم أخـــاه فشاعرهم متلاقية ، وأحاسيسهم تنبض بالتعاون ، والتساند والتعاطف والتآلف .

لا مكان للقسوة بين قلوبهم ، ولا تظهر الشدة أو الغلظة في محيطهم إلا مع أعدائهم من الكفار وفي ميدان الجهاد في سبيل الله ،

قال تعالى : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » الفتح ٢٩ . ولم تفارق الرحمة رسول الله ﷺ في لحظة من اللحظات . بل كانت طبيعته وفطرته حتى مع المشركين من قومه فلم يدع عليهم بل قال : « اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون » وقيل : يا رسول الله إدع على المشركين قال : « إني لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة » رواه مسلم ويصفه القرآن الكريم بالرحمة والرأفة الواسعة « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » التوبة (١٢٨) .

والرحماء من عباد الله هم موطن الأمل للناس ومعقد الرجاء لهم وحيث حلوا فعندهم الراحة للمتعبين والأمل المفزعين ، من طلبهم أجابوه لأن الله تعالى جعل فيهم رحمته .

أما القاسية قلوبهم ، فالناس بمنأى عنهم فلا يرجوهم أحد ولا ينتظر منهم فضل فقد حل عليهم سخط الله وفى الحديث القدسي يقول الله تعالى : « اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادى إنى جعلت فيهم رحمتى ، ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم ، فإنى جعلت فيهم سخطى » وتظل الرحمة مع المسلم فى كل خطاه كسمة مميزة لشخصيته لا تنفك عنها إنها تغمر الكيان الإنسانى فى الفرد ويشيع روحها فى الجماعة فتشرق فى حياة الإنسان مع نفسه وتتضاعف فى معاملة الإنسان لوالديه وتتسع أقطار الرحمة لتحتوى الأقارب وتمتد ظلالها على الجيران وتتداح أبعادها حتى تشمل الخلق قاطبة من إنسان أو حيوان أما رحمة الانسان بنفسه فتكون بالوقوف بها عندما أمر الله والانتهاء عما نهى عنه فلا يوردها موارد الهلاك ولا يكلفها من العمل ما لا يطاق قال الله تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » (البقرة ١٨٥) وقال تعالى : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » البقرة (١٩٥) وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « هلك المتنطعون هلك المتنطعون هلك المتنطعون » رواه مسلم وهم المتعمقون الذين يشددون فى غير موضع التشديد إن رحمة الإنسان بنفسه لها أهميتها وأثرها حتى ولو كان ما يأتيه الانسان عملا من أعمال العبادة .

فالإسلام يدعو الانسان إلى إعطاء جسده قسطا من الراحة ليستطيع القيام بأعماله وعباداته ، عن حنظلة بن الربيع أحد كتاب رسول الله ﷺ قال : « لقينى أبو بكر رضى الله عنه فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قلت : نافق حنظلة قال : سبحان الله ما تقول ؟ قلت : نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا الجنة والنار كأنا رأى عين . فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات . أى مارسنا ولاعبنا . نسينا كثيرا ، قال أبو بكر رضى الله عنه ، فوالله إنا لنلقى مثل هذا . فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ فقلت : نافق حنظلة يارسول الله فقال

رسول الله ﷺ وماذاك ؟ قلت : يارسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنا رأى العين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً فقال رسول الله ﷺ، والذى نفسى بيده لو تدومون على ماتكونون عليه عندى وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفى طرقكم ولكن ياحنظلة ساعة وساعة ، ساعة وساعة » رواه مسلم .

تلك هى رحمة الانسان بنفسه شرعها الاسلام وجعل تعاليمه تنادى بها وتحرص عليها وأما عن الرحمة بالوالدين فقد نادى القرآن بها بعد الأمر باختصاص الله تعالى وحده بالعبادة فقال تعالى : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا » وعند بلوغهما الكبر يؤكد القرآن جانب الرحمة بهما لدرجة يصل فيها الإنسان من الرحمة بحيث لا يتضرر منهما مهما كلفه البر بهما وأن يخفض لهما جناح الذل من الرحمة، ولا يكتفى برحمته الفانية ، وإنما يطلب لهما رحمة الله الباقية بالدعاء لهما « إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » الاسراء (٢٣ ، ٢٤) .

وقد روى أن رجلا قال لرسول الله ﷺ : إن أبوى بلغا من الكبر إنى ألى منهما ما وليا منى فى الصغر فهل قضيتهما حقهما ؟ قال : لا إنهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وتريد موتهما .

وأما الرحمة بالأقارب فلها منزلتها عند الله وحسب الذى يصل رحمه أنه موصول من ربه وحسب الذى يقطعها أنه مقطوع . عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم : هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال : نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى يارب قال : فهو لك : قال رسول الله ﷺ فاقرأوا إن شئتم « فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا

أرحامكم » . رواه البخارى وكذلك الرحمة بالجيران تعاونا معهم وتلبية لندائهم وإحساناً إلى المحتاجين منهم ورحمة الانسان بالناس عامة قال رسول الله ﷺ : « لن تؤمنوا حتى تراحموا » قالوا : يارسول الله كلنا رحيم . قال ليس برحمة أحدكم صاحبه ولكنها رحمة العامة (رواه الطبرانى) والرحمة بالحيوان فلا يجيعه ، ولا يتعبه ، ولا يقسو عليه ولا يحبسه .

إن المسلم ذو قلب رحيم ، لا تبدو ملامح شخصيته من غلافها الجسدى أو المظهر الشكلى ، وإنما فى النظرة الحانية إلى المحيطين بالانسان وفى شعاع روحه وهو ينير بالود وحب الخير طريق الناس وفى قلبه الرحيم وهو يشاطر الناس أحزانهم ويشاركهم فى أفراحهم فيمسح دمعة المسكين ، ويأخذ بيد الضعيف ويسدى المعروف للناس . بهذه الحياة الخصبة التى تترعرع فيها العلاقات الانسانية وتنبعث منها صنائع المعروف تظهر شخصية الانسان المسلم قائمة على أساس ثابت من الايمان بالله .

وأما الذى اقفرت حياته من الايمان فقلبه مقفر من الرحمة وشخصيته تنفر من المعروف والناس ينفضون من حوله فلا يرجى جانبه ولا تمتد بالخير يداه .

وهذا الذى لا يرحم الناس فى الدنيا لا يرحمه الله فى الآخرة عن جرير ابن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » رواه أحمد والبخارى ومسلم .

وقد أمر الرسول ﷺ بالرحمة بمن فى الأرض حتى يحظى المسلم برحمة ربه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « الراحمون يرحمهم الرحمن إرحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » رواه أبو داود والترمذى وبهذا يتضح أن الرحمة هى صبغة الأمن للضعفاء والمحتاجين .

خاتمـــة الكتاب

نستخلص من دراستنا السابقة دعوة الإسلام إلى الأمن في سائر جوانب الحياة في النفس والمال والعرض وأن الله تعالى يهب نعمة الأمان وهي من أجل نعمه للمؤمنين القائمين بمنهجه في الأرض .

وقد وعد سبحانه بهذا وهو لا يخلف الميعاد . قال تعالى : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) .

وما أحوج الأمة الإسلامية في هذه الآونة أن تطبق منهج الله ليمن عليها بنعمة الأمن بعد تلك الصراعات التي صدعت الكثير من جسد هذه الأمة . فإن نعمة الأمن والاستقرار هي أثمن شيء في الوجود .

قال عليه الصلاة والسلام من أصبح منكم آمنا في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا رواه الترمذي .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

د . أحمد عمر هاشم

الفهرس

الموضوع	الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ

صدق الله العظيم